بسم الله الرحمن الرحيم

قعية صحيحة غير الواقعية الأدبية:

عبد ربه في المعترك:

(١)

لَبَطَةُ أبو عُقَيْقَة

كتبها:

أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

(محمد بن عمر بن عبدالرحمن بن عبدالله العقيل)

- عفا الله عنهم -

(جدير بالقراءة من ألفه إلى يائه لما فيه من غذاء القلوب والأرواح
والفوائد العلمية.. لا يستغنى عنه عالم ولا أديب)

مكتبة و دار ابن حزم للنشر والتوزيع

[أأن أُرعشتْ كفَّا أبيك وأصبحتْ
يداك يديْ ليثٍ فإنك حارِبُه
إذا غلبَ ابنٌ بالشباب أباً له
كبيراً فإن الله لابُدَّ غالبُه
رأيتُ تباشيرَ العقوق هي التي
من ابن امرئ ألّا يزال يغالبُه
ولما رآني قد كبرتُ وأنه
أخو الحيِّ واستغنى عن المسح شاربه
أصاخَ لعُريان النَّجِيِّ وإنه
لأزورُ عن بعض المقالة جانبُه

قال أبوعبدالرحمن : يقال له : (يا أخي) ؛ لأنه من بني الحيِّ، وهو قبل ذلك يقال له : (يا ابن الفرزدق) .. و(عريان النَّجي) كناية عن امرأته التي توجِّهه .

للفرزدق في ابنه العاق لَبَطَة من كتابِ العَقَقَةُ والبررةُ

ضمن نوادر المخطوطات ٢/ ٣٨٣ .]

بسم الله الرحمن الرحيم

* * *

[غذوتك مولوداً وعُلتُك يافعاً — تُعَلُّ بما أجني إليك وتنهل
إذا ليلةٌ آبتك بالشكْوِ لم أبِتْ — لشَكْوِك إلا خائفاً أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي — طُرِقتَ به دُوني وعينيَ تهْمُلُ
تخافُ الرَّدى نفسي عليك وإنها — لتعلمُ أن الموتَ وقتٌ مُؤجَّلُ
وأن لي عن وِرْدِ المنايا مؤخَّر — لعزٍّ ولا عنها لذلٍّ معجَّلُ
فلما بلغتَ السنَّ في الغاية التي — إليها مدى ما كنتُ فيك أُؤمِّلُ
جعلتَ جزائي منك جَبْهاً وغِلْظَةً — كأنك أنت المنعم المتطوِّلُ

قالها يحيى بن سعيد الأعمى يعاتب ابنه العاق عيسى .
العققة والبررة ضمن نوادر المخطوطات
٣٧٩ و ٣٨١ .]

ⓒ دار ابن حزم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الظاهري ، محمد بن عمر ابن عقيل
عبدربه / ابن عقيل الظاهري - الرياض ١٤٢٩هـ .
١٥٢ص، ١٤x٢٠ سم
ردمك : ٤-٨٧-٧٩٥-٩٩٦٠-٩٧٨
ديوي : ٨١٣.٠٣٩٥٣١ ١٤٢٩/٤٨٦٣
رقم الإيداع : ١٤٢٩/٤٨٦٣
ردمك : ٤-٨٧-٧٩٥-٩٩٦٠-٩٧٨

* * *

[وسميتني باسم المفنَّدِ رأيُهُ
ولم تمضِ لي في السنِّ ستون كُمَّلُ
فليتك إذْ لم تَرْعَ حقَّ أُبُوَّتي
كما يفعل الجار المجاور تَفعلُ

المصدر السابق ص٣٨٢ .]

* * *

مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع
ص.ب : ٢٢٥٦٦ الرمز البريدي : ١١٤١٦
المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام
هاتف وفاكس ٤٢٧٥١١٧/ جوال ٠٥٠٣١٢٢٩٣٥

رواية واقعية صحيحة غير الواقعية الأدبية :

عبدربه في المعترك :

(١)

لَـبَطَـةُ أبو عُـقَـيْـقَـة

كتبها :

أبوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

(محمد بن عمر بن عبدالرحمن بن عبدالله العقيل)

- عفا الله عنهم -

مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع بالرياض

[وإنْ كنتَ شيئاً فالتمس لك والداً ... أباً لكَ تدعوه أباً حين تُسألُ

فإني أرى فيمن رأيتُ معاشراً ... بآبائهم آباء سَوءٍ تَبدَّلُ

كما رضيتْ للحَيْن كلبٌ بحميرٍ ... أباً من مَعَدٍّ ضَلَّةً ما تقوَّلُ

إلى أيِّ عزٍّ أو إلى أيِّ ثروةٍ ... عن ابن رسول الله كانت تَحوَّلُ

أأكرمَ نفساً أو أباً أو محلَّةً ... إليهم من إسماعيلَ كانت تحوَّلُ

فما استوحش الحيُّ المقيمُ لرحلة[م] ... الخليط ولا عَزَّ الذين تحمَّلوا

كتارك يوماً مِشْيةً من سَجِيَّةٍ ... لأخرى ففاتَتْهُ وأصبحَ يحجلُ

المصدر السابق . ص ٣٨٢ .]

فهرس إجمالي

* * *

[رَبَّيتُهُ مثل فرخ السَّوء أعظمُه — أمُّ الطعام ترى في جلده زغبا
حتى إذا عاد كالفحَّال شذَّبه — أبَّارُه ونفى عن متنه الشذبا
أمسى يمزِّق أثوابي ويضربني — أبعد شيبي عندي تبتغي الأدبا
إني لأُبصِر في ترجيل لِمَّتِه — وخطِّ لحيته في خدِّه عجبا

أمُّ ثواب الهزَّانية في ابنها العاق كما في العققة والبررة ضمن
نوادر المخطوطات ٢/ ٣٩١ .]

[ربَّيتُهُ وهو مثل الفرخ أعظمُه أمُّ الطعام على أعطافه الزَّغَبُ
حتى إذا آض مثل الجذع شذَّبه أبَّارُه وانبرى من مَتنِه الشَّذَبُ
أنشا يزوِّر أخلاقي يؤدِّبني قد كنت قبلك معروفاً لي الأدبُ

من قصيدة أوردها أبوعبيدة في العقفة والبررة ضمن نوادر المخطوطات ٢/ ٣٩٠ للخطاب من بني قُرَيع بن عوف في ابنه العاق مرة .

قال أبو عبدالرحمن : لا آمن أن بعض شعر العقفة والبررة من أكاذيب أبي عبيدة ، وهو من شعوبيته بيقين ، وكثير من ذلك الشعر – على قلته – نَسَقٌ واحد ؛ وإنما غُيِّرت قوافيه!.]

الاستفتاح ، والمقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، وربوبيته سبحانه هي توحيده بأفعاله على صفات الكمال المطلق .. أحمده حمداً طيِّباً كثيراً مباركاً فيه ، وحمده مدح له بتوحيده المطلق على صفات الكمال المطلق ؛ ولهذا كانت صفاته أسماءً له ؛ لأنه لا يستحقها غيره على الكمال المطلق ، وذلك هو توحيد الله بأسمائه وصفاته .. ومن معاني حمده الشكر له والثناء الحسن على نعمه وآلائه التي لا تعد ولا تُحصى : ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [سورة إبراهيم / ٣٤ ، وسورة النحل / ١٨] ، وذلك داخلٌ في توحيد الربوبية ؛ فهو الذي ربَّى خلقه بنعمته وقدرته وحكمته .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا معبود بحق سواه ؛ وذلك توحيد الله بأفعال العباد ، وهو توحيد الإلهية ؛ ولربوبيته وبِرِّه جل جلاله عظَّم حق الوالدين ؛ لما غرس في قلوبهم من رحمة الولد ،

والشفقة عليه، وتربيته من الطفولة إلى وقت زواجه بالتأديب والغذاء والكساء ولو مع قلة ذات اليد، ومع اليسر فالولدُ مَجْبَنةٌ مَبْخَلةٌ.. تلازمهم الشفقة على الولد وهم على فراش الموت كما قال ربنا سبحانه: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [سورة النساء / ٩]؛ ولإعظامه سبحانه حقَّ الوالدين قرن طاعته بالإحسان إليهم من الولد، ولن يَفُوهم حقَّهم؛ فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الإسراء / ٢٣-٢٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [سورة البقرة / ٨٣]؛ فهذا من شرائع الرسل عليهم السلام الثابتة؛

لأنها عدل وبر ، والإحسان إلى الوالدين من البر الذي لا منّة فيه .. وقال تعالى : ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [سورة النساء / ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [سورة الأنعام/ ١٥١] ، وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة لقمان / ١٤-١٥] ، وقال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة العنكبوت / ٨] ، وقال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ

أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الأحقاف / ١٥- ١٩]، وقال سبحانه عن سليمان عليه السلام: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة النمل / ١٩]، وقال تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام في دعائه لوالديه وولده: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ

أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [سورة إبراهيم / ٣٧-٤١]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [سورة نوح / ٢٨]، وقال تعالى عن النفقة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة / ٢١٥]؛ ولهذا وجبت صلة الرحم وذوي القُرْبَى؛ لأنها تَمَتُّ إلى الآباء والأمهات وإن علوا؛ فكانوا أجداداً، وجعل

الله الإرث والعواقل في تحمُّل المغارم عن الفرد وَفْق ذلك .. وقال تعالى عن يحيى عليه السلام : ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [سورة مريم / ١٤]، وقال تعالى عن عيسى عليه السلام : ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [سورة مريم / ٣٢]، وقال تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام الذي كان حريصاً على إنقاذ أبيه آزر من النار :

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا

﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة مريم ٤١-٤٩]، وقال تعالى عن إسماعيل إذ سلَّم نفسه لأبيه إبراهيم عليهما السلام حسب وحي ربهما بالرؤيا : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [سورة الصافات / ١٠٢-١١١] .. وعودةً إلى إبراهيم الخليل عليه السلام قال عنه ربه : ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [سورة الممتحنة / ٤]، ثم قال الله سبحانه عنه : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ

مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة / ١١٤]، ويوسف عليه السلام آوى إليه أبويه، ورفعهما على العرش.. ويعقوب عليه السلام عمي حسرة على ابنه يوسف حتى ردَّ الله بصره بإلقاء قميص يوسف على وجهه الكريم عليهما السلام، وأشفق على أبنائه أن يدخلوا من باب واحد على الرغم من خطيئتهم، ووعدهم بالاستغفار لهم وهو معصوم عن إخلاف الوعد، ومن المعلوم رحمة الله لأم موسى عليهما السلام التي أشفقت على ابنها، وجاء النص عن شفقة الآباء على أبنائهم وخوفهم عليهم في دينهم .. قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ

مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة البقرة / ١٢٧-١٢٨] ، وقال الله عن أم مريم عليهما السلام : ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [سورة آل عمران / ٣٦] ، وهكذا شفقة إبراهم عليه السلام على حفدته كما مرَّ من قوله تعالى :

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة / ١٢٤] ..

هذه هي شريعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومن قرة الأعين صلاح الذرية مع نفع الدنيا كما قال الله عن المؤمنين :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [سورة الفرقان/ ٧٤] .. ومع عظم

حق الوالدين شرع عليهم حقوقاً للولد حضانةً وتربيةً وعقيقةً وتحسين اسمٍ ودعاءً ، وحرَّم الوأد وقَتْل الأولاد خوفاً من الفقر كما يقع في بعض الأمم الكافرة اليوم ؛ فقال تعالى :

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [سورة الأنعام / ١٥١ ، وانظر سورة الإسراء ٣١، وسورة الأنعام / ١٣٧، و١٤٠، وفي سورة الممتحنة/ ١٢ أخذ على الأمهات عهداً ألَّا يقتلن أولادهن] ، وقال تعالى :

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام / ١٣٧] .. ومع هذا حذَّر من فتنة الولد من التفاخر والتكاثر بهم ، واللهو بهم عن ذكر الله ، فقال تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة التغابن/ ١٥ ، وانظر سورة الأنفال / ٢٨] ، وحذَّر من العَقَقَة ؛ فقال سبحانه

وتعـــالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [سورة التغابن / ١٤]، وقال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة محمد / ٢٢-٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [سورة الرعد / ٢٥].. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير ، والسراج المنير ، الذي بعثه ربُّه رحمةً للعالمين ، ومن رحمته أن بيَّن لأمته بالوحي غير المتلوِّ عِظَم حق الوالدين ، وواجب الذرية ، وحذَّر من العقوق ، وأنه من الكبائر الموبقات السبع .. وكان بأبي وأمي أعظم أسوة في البر بذوي القربى في سيرته ، وسكَّنت خديجة رضي الله عنها روعه بخصاله الحميدة التي منها صلة الرحم ، وتقطَّعت نفسُهُ حسراتٍ على عمِّه أبي طالب يريد هدايته ؛ فلما كان

أبو طالب على فراش الموت كان ﷺ يدعوه إلى شهادة أن لا إله إلا الله ؛ ليحاجَّ له بها عند ربه ، وقد شفَّعه الله فيه ؛ فخفف عنه العذاب يوم القيامة (ويا له من عذاب وإنْ خُفِّف ! .. نعوذ بالله) ، وسلَّاه ربُّه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [سورة القصص / ٥٦] وقال بأبي هو وأمي كما في حديث أبي بكرة نُفيع بن الحارث رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟» ثلاثاً .. قلنا : بلى يا رسول الله .. قال : « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين » .. وكان متكئاً فجلس ؛ فقال : « ألا وقول الزور ، وشهادة الزور » ؛ فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت . متفق عليه .. وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس » رواه البخاري .. اليمين الغموس التي يحلفها كاذباً عامداً ؛ سُمِّيت غموساً

لأنها تغمسُ الحالف في الإثم .. وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه » قالوا : يـا رسـول الله : وهـل يشتم الرجلُ والديه ؟.. قال: « نعم : يسبُّ أبـا الرجـل فيسبُّ أباه ، ويسبُّ أمَّه فيسُبُّ أمَّه » متفـق عليـه . وفي روايـة : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» .. قيل: يا رسول الله : كيف يلعنُ الرجل والديه ؟ .. قال : « يسبُّ أبا الرجل فيسب أباه ، ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمه » .. وعـن أبي محمـد جبير بـن مطعم رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال : « لا يـدخل الجنـة قاطع » قال سفيان في روايته : يعني : قاطع رحم .. متفـق عليـه .. وعن أبي عيسى المغيرة بـن شـعبة رضي الله عنـه عـن النبـي ﷺ قال: « إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعاً وهات، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقـال ، وكثـرة الـسؤال ، و إضـاعة المال » متفق عليه .. قوله : « منعاً » معناه منع مـا وجـب عليـه .. و«هات» طلب ما ليس له ، و «وأد البنات» دفنهن وهن أحيـاء ،

و« قيل وقال » : معناه الحديث بكل ما يسمعه ؛ فيقول : قيل كذا ، وقال فلان كذا مما لا يعلم صحته ، ولا يظنها ، « وكفي بالمرء كذباً أن يحُدِّث بكل ما سمع » ، و«إضاعة المال » تبذيره وصرفه في غير الوجوه المأذون فيها من مقاصد الآخرة والدنيا وترك حفظه مع إمكان الحفظ ، و«كثرة السؤال » : الإلحاح فيما لا حاجة إليه»[١] .. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وإخوانه من النبيين والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين -ومن لم يرض غير الإسلام ديناً فقد تبعهم - ، واجعلنا معهم ومنهم بمَنِّك وعفوك وفضلك وإحسانك وبِرِّك وجُودِك ولطفك ورحمتك يا أرحم الراحمين .. آمين آمين يا رب العالمين .

أما بعد : فإن من بعض القَصص الصحيح - وإن كان مؤلماً - ما هو عظة وعبرة ينتفع به عباد الله ويتعظون ؛ فيكون في نشره عبرةً .. والفرق بين الرواية الواقعة فعلاً

---

(١) رياض الصالحين ص٢٧٢-٢٧٥ .

وبين[٢] الرواية الأدبية الواقعية : أن الأولى وقعت بحذافيرها، وأن الثانية وقعت جزئياتها في أعصار وأمصار، ولا يستبعد العقلُ أن تقع بحذافيرها .. وبطلي في هذه الرواية هو شيخي (عبدربه) وهو (أبو لَبطةَ أبي عُقيقة) ، وقد رأيت نشرها في كراريس ؛ ليسهل نشرها وإتمامها .. وليس عندي من التصرف إلا أنني رمزت لاسمه باسم (عبدربه) ، وكل مخلوق عبدٌ لربه : إما عبودية قهر وإذلال – وهي عبودية الكافر – بِحَتميَّات الله الكونية ، وإما عبودية تشريف وعِزَّة وهي عبودية المؤمنين.. وعبد ربه صديق لي وشيخ لي في آن واحد، بل هو من مشربي العلمي.. سمعت منه أخباره ، ورأيت بعضها؛ فوعاها قلبي .. وأخباره عبرة ومتعة وفوائد نفيسة في آنٍ واحد ؛ فلا فضل لي في روايتها إلا أنني صغتها بأسلوبي إلا ما سمعته منه تنصيصاً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

---

(٢) إذا طال الفاصل بعد (بين) أُعيدت مرةً ثانية .

وسلام على عباده المرسلين ، والله المستعان .

وكتبه لكم :

ابوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

(محمد بن عمر بن عبدالرحمن بن عبدالله العقيل)

- عفا الله عنهم -

تم الفراغ من المقدمة ، وتم الفراغ من النص قبلها بشهر بالرياض بعد ظهر يوم الخميس ٣/ ٥/ ١٤٢٩هـ (٨ مايو ٢٠٠٨م) ، وتمت المعاودة فجر الليلة التي صبيحتها يوم الخميس ١٧/ ٥/ ١٤٢٩هـ (٢٢ مايو ٢٠٠٨م) ، وفجر الليلة التي صبيحتها يوم الخميس ١/ ٦/ ١٤٢٩هـ(٥ يونيه ٢٠٠٨م) ، ومنتصف الليلة التي صبيحتها يوم الإثنين ٥/ ٦/ ١٤٢٩هـ(٩يونيه ٢٠٠٨م) ، ثم تمت المعاودة منتصف الليلة التي صبيحتها يوم السبت ٢/ ٧/ ١٤٢٩هـ (٥يونيه ٢٠٠٨م) ، ثم تمت المعاودة بعد عشاء الليلة التي صبيحتها يوم السبت الموافق ٩/ ٧/ ١٤٢٩هـ(١٢يوليه ٢٠٠٨م] وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وسلام على عباده المرسلين .

* * *

[قال الضِّباب بن سدوس الطُّهوي في أبنائه الذين بَرُّوه – وكان قد أسن - :

لعمري لقد برَّ الضِّباب بنوه وبعضُ البنين حُمَّةٌ وسُعالُ

العقفة والبررة ص٣٩٦ .]

لَبَطَة أبو عُقَيقة :

(بفتح اللام والباء الفوقية الموحَّدة والطاء المهملة ، وضم العين المهملة وفتح القاف الأولى والثانية) .

* * *

ممن عقَّ أباه السَّرَنْدى بن حنظلة بن عرادة الربيعي .. ترك أباه في المفازة وفارقَه ؛ فقال حنظلة بن عرادة في ذلك :

ما للسَّرندى أطال الله أيمته ... ألقى أباه بغُبرِ البيد وادَّلجا

مِجْمَعٌ سباة يعاف الكلب طِمْعَتَهُ ... إذا رأى غفلةً من جاره ولجَا

رَيَّتُه وهو مثلُ الفرخ أعظمُه ... والكلب يلحس من تحت أسته الرَّدجا

العققة والبررة ضمن نوادر المخطوطات ٢/ ٣٨٢-٣٨٣ ، والأيمَةُ طول المدة بعد بلوغ الحلم دون زواج ، والمِجْمَع الأحمق ، والسباة الأحمق الغافل ، والشطر الأخير تشبيه لابنه بالكلب ، والرَّدج أول ما يخرج من بطن الصبي .

[وولّى وولّاني عَشَوْزنَ رُكنِه ووجه عدوٍّ يقطع الطرف حاربه
وبالفظِّ يرجو أن أُذيخَ مُنازِلٌ كما عذَّب العود المجفَّرَ راكبه
وما ذاك إلا في فتاةٍ أصبْتُها ألا ليتَ أنَّ الشيخ جُبَّت ذباذبه
وكنتُ لهم كالسمن لم يشكروني تَعلَّلَ للسَّمن المفرَّغ جادبُه
وكان له عندي إذا جاعَ أو بكى من الزَّاد يوماً حُلْوُه وأطايبُه
أيظلمني مالي ويُحنثُ ألوَتي فسوف يُلاقي ربَّه فيحاسبه

لفرغان بن أصبح في ابنه العاق منازل كما في العققة والبررة ضمن نوادر المخطوطات ٢/ ٣٨٨ .. وعشوزن ركنه جانبه الملتوي العسير .. ومعنى أُذيخ أذلُّ ، والعَود الجمل المسنُّ ، والمجفَّر الذي انقطع عن الضِّراب ، ويريد بالفتاةِ أمَّ ابنه العاق .

(اتقوا غيظ القلوب وإن كان قلب بهيمة) .

قال أبوعبدالرحمن : هذه أول كلمة سمعتها منه بعد تحية الإسلام ، وكنت زرته؛ إذ بلغني أنه في إعياء منذ شهر صفر من هذا العام (١٤٢٩هـ).. وجدت شويخاً مسحت آثار الكهولة منه مظهرية الشباب فحسب ، ولكن بقِيتْ سحناته ناقعة بحيويَّة الشباب بسمةً وفألاً وحُسنَ منادمةٍ على الرغم من أنه جلد على عظم .. ولم أفهم معنى هذه الكلمة ؛ فاستزدته علماً ؛ فقال لي : هذه كلمة استفدتها من الصوفية .

قلت : ما عهدتك تطرب لهم ، أو تعتزُّ بفكرهم ؟ .. فنهض من ضِجْعته جالساً، وقال : هذه الكلمة من الصوفية كلمة حق ، والله وسع كل شيء رحمة وعلماً ، وكتب الله الإحسان في كل شيء ، وفي كل نفس رطبة

أجر[٣] ..[٤] ولكل ما هبَّ ودب من الأحياء قلوب تُسَرُّ وتغتاظ ؛ وإن المؤمن الصادق ليسترُّ من فرح القلوب ؛ وهذا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه اشترى عصيفيراً من صبي ، ثم أطلقه في الهواء رحمة به .. وحديث « ارحموا من في

---

(٣) في الصحيحين وغيرهما – كما في جامع الأصول ٤/ ٥٢٣- : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : بينما رجل يمشي بطريق اشتدَّ عليه العطش ؛ فوجد بئراً ، فنزل فشرب ، ثم خرج فإذا كلبٌ يلهثُ يأكل الثرى من العطش ؛ فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني .. فنزل البئر ، فملأ خُفَّه ماءً ، ثم أمسكه بفيه حتى رَقَى ، فسقى الكلب ؛ فشكر الله له ؛ فغفر له.. قالوا : يا رسول الله : إن لنا في البهائم أجراً ؟ .. فقال : في كل كبدٍ رطبةٍ أجرٌ .

(٤) إذا كان الكلام مستأنفاً حسنتْ علامة النقطتين الأفقيتين ؛ لأن ما زاد على النقطتين للحذف ، فتكون النقطتان لقطع العطف بالاستئناف .

الأرض يرحمكم من في السماء ، من الأحاديث المسلسلة التي توارثتها الأجيال من عدول الأمة بالسند متناً[٥] .. ومالي

(٥) قال أبوعبدالرحمن : أكثر ما يرد في كتب الفهارس والأثبات ، وأرويه بالإسناد المتصل إلى رسول الله ﷺ بإجازة الشيخ حماد الأنصاري وغيره في إجازتهم لي رحمهم الله ، وانظر إمداد الفتاح لشيخي عبدالفتاح أبوغدة رحمه الله تعالى ص٢٧١-٢٨١ ، والمناهل السَّلْسَلَة ص٦-١١ ، وهو مسلسل بالأوَّليَّة ، وقال ص١٠ : « قال السخاوي : والحديث أخرجه البخاري في الكنى والأدب المفرد ، والحميدي وأحمد في مسنديهما ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وأبوداود في سننه ، والترمذي في جامعه ، وقال : حسن صحيح .. والحاكم في مستدركه ، وصححه ، وهو كذلك بحسب ماله من المتابعات والشواهد .. وقال أيوب الخلوتي في ثبته : إن له شواهد من حديث أسامة بن شريك ، وأسامة بن زيد ، وأشعث بن قيس ، وجابر بن عبدالله ، وعبادة بن الصامت ، وعبدالله بن عمر ، والمغيرة بن شعبة ، والنعمان بن بشير ، وواثلة بن الأسقع ، وأبي أمامة الباهلي، وأبي الدرداء ، وأبي ذر ، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة ، وعبدالرحمن بن عوف، وأبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وهم ثمانية

لا أستفيد من كلامهم وقد أفاد منهم جِلَّةُ العلماء ؛ فالإمام الشافعي رحمه الله تعالى يَذكر أن أجمل ما استفاده منهم : (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك) .. ودخل في حيِّز التصوف ثلاث فئات :

الفئة الأولى : زُهَّادٌ آثروا الخشونة والاستغناء عن بعض الملذَّات يرجون ثواباً من الله أكثر، وفيهم من صدرت عنه كلمات لا يدل عليها شرع ولا عقل أمثال إبراهيم بن أدهم ، وذو النون ، وأمير المؤمنين في الحديث والفقه والزهد والتفسير سفيان بن سعيد الثوري رحمهم الله ، ويروى له على طريقة القوم تقسيمات غير محقَّقة نقلاً وعقلاً كقوله : (الزهد

عشر صحابياً ، وهذه أسماؤهم .. ثم قال : قال العراقي : هذا حديث حسن رجاله محتج بهم في الصحيح » .. وألف عطا الله بن عبدالغفار السندي كتاب (الأربعين في الشفقة والرحمة) ، وأهمل هذا الحديث ، وهو أولى بأن يُصدَّر به الكتاب .

زهدان : زهد فريضة ، وزهد نافلـة ؛ فـالفرض أن تـدع الفخـر والكبر والعلو والريـاء والـسمعة والتـزيُّن للنـاس ، وأمـا زهـد النافلة فأن تدع ما أعطاك الله من الحلال ؛ فإذا تركت شيئاً من ذلـك صـار فريـضة عليـك أن لا تتركـه إلا لله) ؛ فهـذا تقـسيم قـاصر غـير حـاصر ؛ فالنوافـل مـن الـورع والزهـد لا تُحـصى كثرة، وما فرضه الله من المتروكـات فلـيس مـن بـاب الزهـد ؛ وإنـما هـو شرائـع واجبـة في تـرك مـا حـرم الله .. والزهـد في اصطلاحهم العُرفي ترك الطَّيِّبات المباحـة تقشُّفاً ، وإطـلاق الزهد على ترك ما حرَّم الله مجاز لغـوي ولـيس عُرْفـاً عامـاً .. ولا أعلم نصّاً شرعيّاً[٦] على وجوب نوع من الزهد العـرفي ، بـل كـان كـل ذلـك منـدوباً إليـه بـشرطه ، وأهـمُّ شرطٍ اعتقـاد الحلِّ .. ولا زهد في الملذَّات بإطلاق الشرع ؛ وإنما حرَّم الله

(٦) إذا كـان الثـاني مـن الحـرف المـشدَّد منوَّنـاً فالأفـضل أن تجعـل عـلى الشدة سكوناً ، ويغني عن الفتحة التنوين .

لذة الفاحشة القبيحة الضارة بلذة الزواج ، وعوَّض عن استثقالِ اللِّحية بدخول المؤمنين الجنة مُرداً .. وهكذا ، وهكذا .. هذا أخف ما عند هؤلاء من الزهاد ، وإذا تصفحت كلام إبراهيم بن أدهم رحمه الله وجدت كلاماً كثيراً لا يُعقل كقوله « من تعوَّد أفخاذ النساء لم يفلح » .. وهذا تبتُّل ممنوع شرعاً، بل الزواج من نعم الدنيا والآخرة ، وفي بِضْع أحدكم صدقة.

وقال رحمه الله : « الزهد منه فرض وهو ترك الحرام ، وزهد سلامة وهو الزهد في الشبهات ، وزهد فضل وهو الزهد في الحلال » .. وهذا خطأ محض ؛ فترك الحرام ليس هو الزهد العرفي ، وفي تركه عوض عنه من الحلال اللذيذ ، وزهد الشبهات زهدُ ورعٍ يتراوح بين الوجوب والندب حسب غلبة الظن .. والزهد في الحلال ليس جائزاً بإطلاق ، وإنما منه زهد مندوب إليه بشرطه .. ومن قوله رحمه الله :

«لم ينبل عندنا من نَبُل بالجهاد ولا بالحج ، بل من كان يعقل ما يدخل في بطنه .. ماذا أنعم الله على الفقراء ؟!!.. لا يسألهم عن زكاة ، ولا عن جهاد ، ولا عن صلة ؛ وإنما يُسأل عن هذا هؤلاء [يعني الأغنياء] المساكين » ؛ فهذا مذهب الصوفيَّة المتفقِّرة ، والمحقق أن الغنى والفقر ليسا حكمين شرعيَّيْن ، بل هما موضعان للحكم الشرعي من الشكر والصبر وبذل المال في حِلِّه والتعفُّف ؛ فإذا استوت أحكام الغني والفقير عاد الفضل للغنيِّ ؛ لأن أهل الدثور ذهبوا بالأجور ، ولأن الغنى نعمة من الله كونية ، والسبق بالأجر نعمة شرعية كونية (فلولا الله ما اهتدينا) ؛ فكان الغنيُّ العابد المساوي للفقير في العبادة أعظمَ منفعةٍ لعباد الله ؛ فقد منَّ الله عليه بنفعه نفسه ، ونفْعِه خلقه ، والفقير أقصر باعاً في نفع غيره ، والله يؤتي فضله من يشاء[٧] .. وكثرت روايةُ كراماتِ

---

(٧) انظر كلاماً نفيساً للإمام أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم

له بعضها من بيِّنات الأنبياء عليهم السلام ، ولم تحصل لمن هم أفضل الخلق بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام من خيار الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن تلك المعجزات ما ساقه أبو نعيم بإسناده إلى عيسى بن حازم النيسابوري قال : « كنا بمكة [المكرمة] مع إبراهيم بن أدهم؛ فقال : « لو أن مؤمناً مُسْتكملَ الإيمان يهزُّ الجبَلَ لتحرَّك .. فتحرَّك أبو قبيس ؛ فقال [أي إبراهيم بن أدهم] : أُسكُنْ .. ليس إياك أردتُ » ؟!![8] .. فأرجو أن يكون هذا الخبر مكذوباً على إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ، وأما وقوعه فهو محال دالٌّ على أن الخبر مكذوب مهما كانت حال من

القرطبي [٥٧٨-٦٥٦هـ] رحمه الله تعالى في المفهم ٧/ ١٣٠-١٣٧ و ٣/ ٩٥-١٠٠ ، والبحوث في هذا كثيرة بين المحدِّثين والمتزهِّدين.

(٨) وردت بروايات في حلية الأولياء ٨/ ٤ ، وتاريخ دمشق ٦/ ٣٢١-٣٢٢ ، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣٩.

قام في غَلَبَةِ الظن أنه عِلَّة الكذب في سند الخبر ؛ لأن هذا إعجاز لا كرامة ، ولستُ أُنكر الكرامات إذا صحت نقلاً ، ولكنني أفرِّق بين المعجزات والكرامات ؛ فمثل قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (يا سارية الجبل)(٩) كرامة ليست

---

(٩) قال الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني [-٨٥٢هـ] رحمه الله تعالى عن سارية بن زُنَيْم رضي الله عنه بكتابه الإصابة ٣/ ٥-٦ : «وذكر الواقدي ، وسيف بن عمر أنه كان خليعاً في الجاهلية (أي لِصّاً كثير الغارة ، وأنه كان يسبق الفرس عدواً على رجليه) ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وأمَّره عمر [رضي الله عنه] على جيش ، وسيَّره إلى فارس سنة ثلاث وعشرين ؛ فوقع في خاطر عمر [رضي الله عنه] وهو يخطبُ يوم الجمعة أن الجيش المذكور لاقى العدو وهو في بطن وادٍ وقد همّوا بالهزيمة (وبالقرب منهم جبل) ؛ فقال في أثناء خطبته : يا سارية : الجبلَ ، الجبلَ .. ورفع صوته ؛ فألقاه الله في سمع سارية ؛ فانحاز بالناس إلى الجبل ، وقاتلوا العدوَّ من جانب واحد ففتح الله عليهم.. قلت : هكذا أخرج القصة

الواقدي: عن أسامة بن زيد بن أسلم : عن أبيه : عن عُمر [رضي الله عنه] ، وأخرجها سيف مطوَّلة عن أبي عثمان ، وأبي عمرو بن العلاء : عن رجل من بني مازن ؛ فذكرها مطولة .. وأخرجها البيهقي في الدلائل ، واللالكائي في شرح السنة والزين عاقولي في فوائده ، وابن الأعرابي في كرامات الأولياء : من طريق ابن وهب : عن يحيى بن أيوب : عن ابن عجلان : عن نافع : عن ابن عمر [رضي الله عنهما] قال : وجَّه عمر [رضي الله عنه] جيشاً ، ورأَّسَ عليهم رجلاً يُدعى سارية ، فبينما عمر [رضي الله عنه] يخطب جعل ينادي : يا سارية : الجبل (ثلاثاً) ؛ فأسندنا ظهرنا إلى الجبل ، فهزمهم الله تعالى .. قال : قيل لعمر : إنك كنتَ تصيح بذلك .. وهكذا ذكره حرملة في جمعه لحديث ابن وهب ، وهو إسناد حسن ، وقد تقدم أنهم كانوا لا يؤمِّرون إلا من الصحابة .. وروى ابن مردويه ؛ من طريق ميمون بن مهران : عن ابن عمر ، عن أبيه [رضي الله عنهما] : أنه كان يخطب يوم الجمعة ؛ فعرض في خطبته أن قال : يا سارية : الجبل : من استرعى الذئب ظلم .. فالتفت الناس بعضهم إلى بعض ، فقال لهم : ليخرجن مما قال .. فلما فرغ سألوه ؛ فقال : وقع في خلدي أنَّ المشركين

خارقـة لنـاموس الكـون ، ولكنهـا خارقـة للمعتـاد في تـاريخ البـشر ، وإلا فمـن نـاموس الله في هـذا الموضـع أن يُقَـرَّب الصوت ، ويُـرَى البعيـد بواسـطة ملـك مـن ملائكـة الـرحمن الكرام .. وقـد يهزُّ الملـك الجبـل بـأمر الله ، إلا أن هـذا الهـز خارقٌ ناموس الطبيعـة ، ولا يكـون إلا بيِّنـة لنبيٍّ عـلى جميـع أنبياء الله ورسله أفضل الصلاة والسلام ، ثـم إن دعـواهم هنـا أن مُـستكمل الإيـمان هـو الـذي يهـز الجبـل .. أي بكـمال إيمانه!!.. وليست كل كرامة تُدَّعَى لمن يُدَّعَى أنه وليٌّ نقبلهـا إذا لم يكن مثلها للعُبَّاد على بصيرة من علم مُـحَقَّق أو سـؤال لأهل الذكر؛ فكم من عاميٍّ عابد تكـاد الطير تأكـل مـن يـده ،

هزموا إخواننا ، وأنهم يمرُّون بجبل ؛ فإن عـدلوا إليـه قـاتلوا مـن وجـه واحد ، وإن جاوزوا هلكوا ، فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه .. قال : فجاء البشير بعد شهر ؛ فذكر أنهم سمعوا صوت عمر [رضي الله عنه] في ذلك اليوم .. قال : فعدلنا إلى الجبل ، ففتح الله علينا » .

وهل كان إبراهيم رحمه الله عند جبل أبي قبيس فيرى اهتزازه، أو أنه رأى اهتزازه من بعيد ؟.. ولو وقع هذا الحدث الكاذب لتواترت به الرواية ، أو تعدَّدت الطرق الصحيحة بالخبر عنه ، ولتغنَّت به الشعراء ، ولذكره المؤرخون ؛ فهذا حدث نادر يحرص المؤرِّخون على ما هو دونه .. وفي الحلية وتاريخ ابن عساكر من مثل هذا الهذيان أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله رأى الخَضِر ، وعلم الاسم الأعظم ، وأن تعليم الخضر تعليم من داوود عليه السلام !!؟[١٠] ، ولو كان الخضر عليه السلام حياً لكان من

---

(١٠) ترجم لإبراهيم ترجمة مطوَّلة كل من أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني [-٤٣٠هـ] في حِلْيَة الأولياء ٧/ ٣٦٧-٤٠٠ و٨/ ٣-٥٨ ، وأبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٢٧٧-٣٥٠ ، وشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي [-٧٤٨هـ] في سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٨٧-٣٩٦ وفي بقية كتبه رحمهم الله جميعاً ، وفي كل ذلك شيئ كثير لا يقبله عقل، ولا له حجة من الدين .

أصحاب رسول الله ﷺ ؛ لأن الشرائع نُسخت بشريعته ، وقد أخبر ﷺ بالخبر الصحيح أنه لا يبقى أحد بعد مئة سنة من أصحابه رضوان الله عليهم.. وفي هذين المصدرين عن الإمام سفيان الثوري رحمه الله تعالى: «كان إبراهيم بن أدهم يُشبه إبراهيم الخليل [عليه السلام] ولو كان في الصحابة [رضوان الله عليهم] لكان رجلاً فاضلاً » ؛ فهم لم يروا إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ فيكون حينئذ التشبيه للهيئة الحسية ، ولقد جاءت النصوص الشرعية بوصف إبراهيم عليه السلام ، وجاء النص بنفي صفة عنه ؛ ففي صحيح البخاري بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما .. قال : « دخل النبي ﷺ البيت فوجد فيه صورة إبراهيم [عليه السلام]، وصورة مريم [عليها السلام][١١] ؛ فقال ﷺ : أمَا هم فقد سمعوا أن الملائكة

---

(١١) يُصلَّى عليها ويُسلَّم استقلالاً وإن لم تكن نبية ؛ لأن الله أوحى إليها، وهي من المصطفيات ، وأم نبي في كفالة نبي .

[عليهم السلام] لا تدخل بيتاً فيه صورة.. هذا إبراهيم عليه السلام مُصَوَّر ؛ فما له يَسْتَقْسِم ؟ »[١٢].. يعني بالأزلام .. وفي رواية عند البخاري زيادة ثقة ، وتشعر أنه أعاد الكلام لما رأى صورة إسماعيل عليه السلام .. قال ابن عباس رضي الله عنهما : «ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام ؛ فقال : قاتلهم الله.. والله إنْ استقسما بالأزلام قط»[١٣] .. فإن زعم زاعم أن الرسول ﷺ إنما أنكر الاستقسام بالأزلام ، ولم ينكر مطابقة الصُّوَر: فالجواب أنه لم يُنقل وصف هذه الصور فيصح التشبيه ، بل أمر ﷺ بمحوها فمُحِيتْ .. ثم إن الكذب في رسمهما عليهما السلام يستقسمان ، وتكذيب

---

(١٢) صحيح البخاري / كتاب أحاديث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام برقم ٣٣٥١ كما في فتح الباري ٧/ ٦٤١ بتحقيق البراك ، والفاريابي ، وانظر المصدر السابق ٩/ ٤٠٤ كتاب المغازي برقم ٤٧٢٠ .

(١٣) المصدر السابق ٤ / ٥٢٩ كتاب الحج برقم ١٦٠١ .

الرسول ﷺ ذلك يعطي الرجحان بأن الصورتين مخْتَلقتان ؛ لأن مَن كـذب في هيئـة الاستقـسام فـالراجح أنـه كـذب في ادعاء الصورة المطابقة .. وصح عن رسول الله ﷺ في حديث سَمُرة بن جندب رضي الله عنه .. قـال : قـال رسـول الله ﷺ : أتـاني الليلـةَ آتيـان فأتَيْنـا عـلى رجـل طويـل لا أكـاد أرى رأسـه طولاً ، وإنه إبراهيم ﷺ»(١٤) ؛ فهـذا غـير الإسراء المـذكور في القرآن الكـريم بـالروح والجسد ، وإنـما هـو إسراء آخـر في المنام .. ولو كان تشبيه إبراهيم بن أدهـم رحمـه الله بالخليـل في الطول لوجب تقييد التشبيه بالطول ، ثم إنه لا يُعلم مقدار طوله عليه السلام فيصحُّ التشبيه ، وكـم مـن رجـل طويـل ؟!. وإبراهيم عليه السلام قبل نقص الأعمار ونقص الأجسام .

وفي حـديث ابـن عبـاس رضي الله عـنهما : « **أمـا إبـراهيمُ**

---

(١٤) المصدر السابق ٧/ ٦٤١ كتاب الأنبياء برقم ٣٣٥٤ ، و١٦ / ٤١٨ كتاب التعبير برقم ٧٠٤٧ .

فانظروا إلى صاحبكم »[١٥] شبهه ﷺ بنفسه ؛ فهذا تشبيه مقارب وليس وصفاً مطابقاً ؛ لأن محمداً لم يكن كأبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام طويلاً لا تكاد ترى رأسه طولاً ، بل جاء وصفه بأبي هو وأمي في كتب السيرة المحمدية المطهرة : « ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير »[١٦]، وهيئة محمد ﷺ بعد نقص الأعمار والأجسام ؛

---

(١٥) المصدر السابق ٤/ ٤١٩ ـ ٤٢٠ / كتاب الأنبياء برقم ٣٣٥٥ ، و١٣ / ٤٢١ / كتاب اللباس برقم ٥٩١٣ .

(١٦) انظر مثلاً جوامع السيرة للإمام ابن حزم رحمه الله تعالى ص ١٩ / دار الجيل ببيروت ، ومكتبة التراث الإسلامي ، وهو تلخيص لما في الأحاديث الصحيحة من صفته ﷺ وَفق ما صح عنده ، وهو ﷺ يطول أحياناً إعجازاً كما قال الإمام ابن حزم رحمه الله في صفته في سياق الكلام عن معجزاته ص ١١ : « وكان صلوات الله وسلامه عليه نحو الرَّبْعَة ؛ فإذا مشى مع الطُّوال طالهم » ؛ فإن صح الخبر فهو وصف غير ملازم ؛ وإنما هو إعجاز ، كما أن أطْول الطُّوال من أمته لا يصل

فعاد التشبيه بمحمد ﷺ في صفاتٍ حسيَّة .. وسياق الخبر عن ابن أدهم : (لو كان من الصحابة) يدل على أن التشبيه في الدين والعبادة ؛ فإذْ لم يبق إلا التشبيه في الدين ؛ فقد أصبحت الكلمة كذبة صلعاء محُالة من وجوه :

أولها : أننا لا نعرف تعبُّد إبراهيم عليه السلام كما نعرف تعبُّد محمد ﷺ ؛ وإنما نعرف أنه أمة وحده ، وأنه حنيفي ، وأنه خليل الرحمن ، وأن الله جعل البرهان على لسانه ، وأنه من المصطفين الأخيار ، وأنه قانت .. إلخ ما جاء به الخطاب الشرعي الصحيح، ولم يرد وصف كيفية عبادته ؛ ليصح التشبيه .

إلى طول إبراهيم عليهما الصلاة والسلام؛ لأنه قريب عهد بعاد وثمود ، وكانوا أضخم أجساماً ، وأبعد طولاً ، وكان طول آدم عليه السلام ستون ذراعاً ، وما زال الخلق ينقص حتى استقر على ما هو عليه في أمة محمد ﷺ (أمة الإجابة ، وأمة الدعوة) ، وقد صَحَّ بذلك النص الشرعي القطعي .

وثانيها : أن صِدِّيق الأمة أبا بكر رضي الله عنه لا يجوز تشبيهه بإبراهيم الخليل عليه السلام في الدين مع أنه ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام على أفضل من أبي بكر رضي الله عنه .

وثالثها : أنه خبر متناقض ؛ فكيف يشبه إبراهيم بن أدهم رحمه الله إبراهيم الخليل عليه السلام في الدين وهم يرون تخَلُّفه عن درجة الصحابة ؟!.. وله رحمه الله مسندُ حديثٍ في كراسة(١٧) ، ولكنه في العلم الشرعي ليس كمتوسطي أئمة العلم الشرعي العُبَّاد .

ورابعها : أن سفيان الثوري رحمه الله أجل من أن يقول ذلك ؛ فأرجو أن لا يصح الخبر عنه ، ولو صح لكان (زَلَّةَ

---

(١٧) جمعه الحافظ ابن منده رحمه الله ، وطُبع بتحقيق مجدي السيد إبراهيم ، وفي حلية الأولياء إسناد بعض الأحاديث إليه .

عالمٍ حُذِّرنا عن مثلها) .

وهذه الفئة من الصوفية أحبهم الأئمة وصحبوهم ، وأثنى عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الاستقامة(١٨) ، بل

---

(١٨) أثنى رحمه الله على جملة منهم من أجل اشتراطهم العمل بالكتاب والسنة ، وأثنى عليهم بعباراتهم مثل : سيدي ، وسيد العارفين ، وقال رحمه الله في الاستقامة ١/ ٩٩-١٠٠ معتذراً عنهم ، وناقداً لهم : « وسبب تعبيرهم عن الشريعة بالعلم أن القوم أصحاب إرادة وقصد وعمل وحال .. هذا خاصتهم ، لكن قد يعمل أحدهم تارة بغير العلم الشرعي ، بل بما يدركه ، ويجد إرادته في قلبه وإن لم يكن ذلك مشروعاً مأموراً به ، وهذا كثيراً ما يُبتلى به كثير منهم من تقديم علمهم بالذوق والوجد على موجب العلم المشروع ، ومن العلم بذوق ليس معه فيه علم مشروع .. ولا ريب أن هذا من اتباع الهوى بغير هدى من الله ، و هو ممَّا ذم الله به النصارى الذين يضارعهم في كثير من أمورهم المنحرفون من الصوفية والعُبَّاد ؛ ولهذا جعله سهلٌ من حظ النفس ؛ ولهذا استضعف أبويزيد متابعة

العلم [يعني إيثار طريقة التصوف] ؛ فإن مجاهدة هوى النفس يفعلها غالب النفوس مثل عبادات المشركين وأهل الكتاب من الرهبان وعُبَّاد الأنداد ونحوهم ، وكل ذلك من هذا الباب .. ولهم من الزهد والمجاهدة في العبادة ما لا يفعله المسلمون، لكنه باطل ليس بمشروع؛ ولهذا لا ينتج له من النتائج إلا ما يليق به .. والمسلم الصادق إذا عَبَدَ الله بما شُرِعَ فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة ؛ فالمهتدون من مشايخ العبَّاد والزهَّاد يوصون باتباع العلم المشروع ، كما أن أهل الاستقامة من العلم يوصون بعلمهم الذي يسلكه أهل الاستقامة من العباد والزهاد .. وأما المنحرفون من الطائفتين فيُعرضون عن المشروع : إما من العلم ، وإما العمل .. وهما طريق المغضوب عليهم ، والضالين » .. وقال رحمه الله في بغية المرتاد ص٣١٤ : « فالذي تريده الصوفية بالإشارة هو الذي يريده الفقهاء بالقياس والاعتبار».. قال أبوعبدالرحمن : لم يبين رحمه الله وجهاً صحيحاً لجعل إشارات الصوفية كقياس الفقهاء ، وغاية ما في الأمر أن أصحاب الإشارات كالقشيري وابن عربي والبُروسوي والآلوسي في تفاسيرهم يجعلون الإشارة الصوفية بعد الدلالة الشرعية على

المعنى ، وليس هذا قياساً .. ثم إن كثيراً من إشاراتهم خارج عن دلالة اللغة وعن دلالة العقل التي يتمسَّك أهل القياس بأنها دلالة عقلية مرادة للشرع في الفرع المَقِيس ، وأضرب لذلك مثالاً بسيطاً هو أسهل وِزْراً من غيره جداً في تفسير قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الأنعام / ٥٩] .. قال إسماعيل حَقِّي البُرُوْسَوي [- ١١٣٧هـ] رحمه الله في روح البيان ٣/ ٤٣ : « الإشارة في الآية أن الله تعالى جعل لكل شيء من المكوَّنات شهادة تُناسب ذلك الشيء، وغيباً مناسباً له .. وجعل لغيبِ كلٍّ مفتاحاً يفتح به غيب ذلك الشيء وشهادته ؛ فينفعل ذلك الشيء كما أراده الله في الأزل وقدَّره » ..

قال أبوعبدالرحمن : من أي وحي جاءت هذه الدعوى ؟! .. ثم إن الآية عن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، ومفتاحه هو علمه سبحانه الذي لا يشاركه فيه أحد ، وأما محيي الدين ابن عربي [٥٦٠- ٦٣٨هـ] فلا يذكر الإشارة ، وأما تفسيره فكله إشارة بلا نص وحي،

ولا خبر ثابت ، ولا كلام معقول ، ويكفي هذا النموذج من تفسيره لسورة يوسف .. قال في تفسيره (١/ ٣٢٤) : « وقول امرأة العزيز ﴿ٱلۡـَٔـٰنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ [سورة يوسف / ٥١] إشارة إلى تَنَوُّر النفس والقوى بنور الحق ، واتصافها بصفة الإنصاف والصدق ، وحصول ملكة العدالة بنور الوحدة ، وظهور المحبة حال الفرق بعد الجمع ، وكمال طمأنينة النفس ؛ لإقرارها بفضيلة القلب وصدقه وذنبها وبراءته ؛ فإن من كمال اطمئنان النفس اعترافها بالذنب واستغفارها عما فرط منها حالة كونها أمَّارة ، وتمسكها بالحرمة الإلهية والعصمة الربانية .. واستخلاص الملك إياه لنفسه استخلاف للقلب على الملك بعد الكمال التامّ كما جاء في القصة : (أجلسه على سريره ، وتوَّجه بتاجه ، وختمه بخاتمه ، وقلَّده بسيفه ، وعزل قطفير ، ثم تُوفِّي قطفير ، وزوَّجه الملك امرأته زليخا ، واعتزل عن الملك ، وجعله في يده وتخلَّى بعبادة ربه ، كل ذلك إشارة إلى مقام خلافة الحق كما قال لداود : ﴿إِنَّا جَعَلۡنَـٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة ص/ ٢٦] .. وتَوَفِّي العزيز [أي توفَّى الله العزيز] إشارة إلى وصول القلب إلى مقامه ، وذهاب الروح في شهوده للوحدة !! ، وتزوجه

بامرأة العزيز إشارة إلى تمتيع القلبِ النفسَ بعد الاطمئنان بالحظوظ ؛ فإن النفس الشريفة المتنوِّرة تقوى بالحظوظ على محافظة شرائط الاستقامة ، وتقنين قوانين العدالة ، واستنباط أصول العلم والعمل .. وهما الولدان اللذان جاء في القصة أنها ولدتهما منه افرائيم وميشا .. وروي (أنه لما دخل عليها قال لها : أليس هذا خيراً مما طلبت ؟ .. فوجدها عذراء) ، وهو إشارة إلى حسن حالها في الاطمئنان مع التمتيع ومراعاة العدالة ، وكونها عذراء إشارة إلى أن الروح لا يخالط النفس لتقدُّسه دائماً ، وامتناع مباشرته إياها ؛ فإن مطالبه كلية لا تدرك جزئياتها بخلاف القلب ، وإنما كانت امرأته لتسلطه عليها، ووصول أثر أمره وسلطانه إليها بواسطة القلب ، ومحكوميتها له في الحقيقة ، وسؤال التولية على خزائن الأرض ، ووصف نفسه بالحفظ .. والعلم هو أن القلب يدرك الجزئيات المادية ويحفظها دون الروح؛ فيقتضي باستعداده قبول ذلك المعنى من الواهب الذي هو ملك روح القدس .. وتمكينه في الأرض يتبوَّأ منها حيث يشاء استخلافه بالبقاء بعد الفناء عند الوصول إلى مقام التمكين ، وهو أجر المحسن .. أي

العابد لربِّه في مقام الشهود ؛ لرجوعه إلى التفصيل من عين الجمع » .

ومن العبث الإشاري قول الآلوسي [-١٢٧٠هـ] رحمه الله تعالى عن الصفا والمروة في روح المعاني ١/ ٤٣٥-٤٣٦ : « ومن باب الإشارة في الآيات ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا﴾ أي الروح الصافية عن درن المخالفات ، و ﴿وَٱلْمَرْوَةَ﴾ أي النفس القائمة بخدمة مولاها من إعلام دين الله ومناسكه القلبية والقالبية ؛ فمن بلغ مقام الوحدة الذاتية ، ودخل بيت الحضرة الإلهية بالفناء عن السِّوَى ، أوزار الحضرة بتوحيد الصفات ، واتَّزر بأنوار الجلال والجمال فلا حرج عليه حينئذ ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ ويرجع إلى مقامهما بالوجود الموهوب بعد التمكين المطلوب ﴿وَمَن﴾ تبرع ﴿خَيْرًا﴾ بالتعليم والنصيحة وإرشاد المسترشدين فإن الله يشكر عمله ويعلم جزاءه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ ما أفضنا عليهم من أنوار المعارف وهدى الأحوال ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى﴾ كتاب عقولهم المنورة بنور المتابعة ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ يبعدهم الله تعالى ويحجبهم عنه ﴿وَيَلْعَنُهُمُ

﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾ من الملإ الأعلى فلا يمدونهم ، ومن المستبعدين فلا يصحبونهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾ رجعوا إلى الله وعلموا أن ما هم فيه ابتلاء منه عز وجل ، وأصلحوا أحوالهم بالرياضة ، وأظهروا ما احتجب عنهم بصدق المعاملة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ واحتجبوا عن الحق ، وبقوا على احتجابهم حتى زال استعدادهم وانطفأ نور فطرتهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ استحقوا الطرد والبعد عن الحق وعالم الملكوت ، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ في ذلك ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ لرسوخ الأمور الموجبة له فيهم ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ للزوم تلك الهيئات المظلمة إياهم ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ بالذات لا شيء في الوجود غيره ؛ فأنى يعبد سواه وهو العدم البحت؟! .. إن في إيجاد سماوات الأرواح وأرض النفوس ، واختلاف النور والظلمة بينهما ، وفلك البدن التي تجري في بحر الاستعداد بما ينفع الناس في كسب كمالاتهم ، وتكميل نشأتهم ، وما أنز الله من سماء الأرواح من ماء العلم فأحياء به النفحات المحركة لأغصان أشجار الشوق في رياض القلوب وسحاب

....

التجليات المسخر بين سماء الروح وأرض النفس : ليمطر قطرات الخطاب على نيران الألباب لتسكن ساعة من الاحتراق بالتهاب نار الوجد ؛ لآيات ودلائل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ بالعقل المنور بالأنوار القدسية المجرد عن شوائب الوهم ، ومن الناس من يعبد من دون الله أشياء منعته عن خدمة سيده ، والتوجه إليه ، يحبونهم ويميلون إليهم كحبهم الله ويسوون بينهم وبينه سبحانه ؛ لأنهم لم يذوقوا لذة محبته ، ولم يروا نور مشاهدته وحقائق وصله وقربه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الإيمان الكامل ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ لأنهم مستغرقون بمشاهدته ، هائمون بلذيذ خطابه من عهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ لا يلتفتون إلى سواه طرفة عين ؛ فهيهات أن يزول حبهم ، أو يميل إلى الأغيار لُبُّهم وهم أحبوه بحبه وصارت قلوبهم عرش تجلياته وقربه ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ وأشركوا من هو في الحقيقة لا شيء ولا حي ولا لي [؟ ولعلها (ولا ليس) ، وهي عند الصوفية بمعنى لا شيء] في وقت رؤيتهم عذاب الاحتجاب عن رب الأرباب ، وأن القدرة لله جميعاً ، وليس لآلهتهم التي ألهتهم عنه منها شيء : لندموا وتحسروا حيث لم يقصدوا وجه الله تعالى ولم يطلبوه ؛ وعند ذلك

كـان كتـاب مـدارج الـسالكين لابـن قـيم الجوزيـة رحمـه الله تـسويغاً لـشطحاتهم بالتأويـل ، والأولى الـتماس العـذر لهـم بغياب كثير من العلم الشرعي عنهم ، وهـم قـدوة مـشكورون فيما وافقوا فيه السنة ، ويُعتذر لمحـسنهم بِغِيـاب العلـم[١٩]..

يتـبرأ الأتبـاع مـن المتبـوعين وقـد ﴿رَأَوُا﴾ عـذاب الحرمـان ، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ الوُصَل التي كانت بينهم في الدنيا ، وتمنوا ما لا يمكـن بحـال ، وبقـوا بحـسرة وعـذاب ، وكـذا يكـون حـال القـوى الروحانية الصافية للقوى النفسانية التابعة لها في تحصيل لذاتها ، وطوبى للمتحابين في الله تعالى عز شأنه » .

قال أبوعبدالرحمن : أي مشابهة للقياس في هذا الهذيان ، وهل بمثل هذا العبثُ يُفهم مراد الله ، بل هذا هو والله التحريف لكلام الله ؟! .

(١٩) على سبيل المثال من أمثلة كثيرة ذكر الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله سياقاً يتضمَّن إقرار القسمة الآتية بعد قليل إن شاء الله عن الصوفية والقرَّاء ، ثم أعلن بعد ذلك التَّوَسُّط بين الفريقين بكلام حسن مع الغفلة عن فساد قسمة الصوفية ، والغفلة عن انحصار الحق والخير

والجمال وتطهير القلوب وتهذيب النفوس، وتزكية الأرواح (للدنيا، والآخرة) في الشرع وحده .. قال رحمه الله في مدارج السالكين ٢/ ٣٨٤-٣٨٥ : «فأشار أبوالقاسم الجنيد إلى أن المريد لله بصدق إذا أراد الله به خيراً أوقعه على طائفة الصوفية : يهذبون أخلاقه ؛ ويدلُّونه على تزكية نفسه وإزالة أخلاقها الذميمة والاستبدال بالأخلاق الحميدة، ويُعرِّفونه منازل الطريق ومفازاتها وقواطعها وآفاتها .. وأما القُرَّاء فيدقُّونه بالعبادة من الصوم والصلاة دقاً، ولا يذيقونه شيئاً من حلاوة أعمال القلوب، وتهذيب النفوس؟!؛ إذْ ليس ذلك طريقهم ؛ ولهذا بينهم وبين أرباب التصوف نوع تنافر كما تقدم.. والبصير الصادق يضرب في كل غنيمة بسهم، ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها، ولا يتحيَّز إلى طائفة، و ينأى عن الأخرى بالكلية أن لا يكون معها شيء من الحق ؛ فهذه طريقة الصادقين» .

قال أبوعبدالرحمن : والذي أُحقِّقه في هذا : أوَّلاً أن التصوُّف - بمصطلحه ومعانيه عندهم كالفناء والمشاهدة والخواطر والأحوال مما لم يرد به شرع، ولا سنة عملية من رسول الله ﷺ وصحابته وتابعيهم رضوان الله عليهم - كالكذب يخالطه شيء من الصدق

بخلاف الصدق لا يخالطه شيئ من الكذب ، والشرع صدق لا يخالطه كذب ألبتة .. وأحقق ثانية أن للشيطان لعنه الله لمَّاتٍ تضليل وتخويف ، وأن للملك عليه السلام لمات هداية وطمأنينة وتبشير .. والشيطان أقرب إلى أهل الأحوال الصوفية ولا سلطان له على الذين آمنوا ، والملَك مع المؤمنين .. وأحقق ثالثة أن جهاد النفس ورياضتها بنصوص الشرع لا برياضة كل طريقة ، ولكل طريقة شيخ !! .. وأحقق رابعة أن من تتبع نصوص الشرع ببصيرة ، واجتهد في تصحيح الصحيح ، واجتهد في تحقيق مراد الله منها ، واجتهد في العبادة (وهي العبادة البدنية من الواجبات والنوافل، والتلاوة وقراءة العلم النافع ، والتفقه ، وسلامة القلب ، ولين الجانب ، و تقليص المعاصي بمحاسبة النفس) : فإن الله يزيده هداية ، ويقوِّي بصيرته ، ويجعل له فراسة ، ويضاعف علمه عن بصيرة ، ويملأ قلبه يقيناً وطمأنينة ، وتأتيه البشرى من ربه في خواطره يقظةً ، وفي رؤياه مناماً .. ومن الاجتهاد في العبادة الخشوع التام ، والله جعل لملائكة الرحمن عليهم السلام ولايةً على المؤمنين .. نعرف ذلك من أحوالهم في الشرع ؛ فهم يحفُّون أماكن الذكر والعبادة – سواء أكان العابد الذاكر

فرداً أم جماعات - ؛ فيحصل بحضورهم المبارك رقة قلب ، وبكاء من خشية الله .. وهم عليهم السلام قاتلوا مع رسول الله ﷺ والمؤمنين به كما في سورتي آل عمران والأنفال ، وقال سبحانه وتعالى عن ولايتهم الكريمة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة فصلت / ٣٠-٣٢] ، وقال تعالى : ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الشورى / ٥] ، وهكذا كان الملائكة عليهم السلام ظهيراً لرسول ﷺ كما في سورة التحريم ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الأحزاب / ٤١-٤٣] ، وهم يُصلُّون على النبي ﷺ كما في سورة الأحزاب ؛ فعليهم منا سلام الله وبركاته ، وجزاهم الله عنا خيراً ، ومنهم حملة العرش الكرام المشفقون على

المؤمنين كما قال الله عنهم : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) ﴾ [سورة غافر / ٧-٩] .. ومع الملائكة الكرام الذين يحصون أعمالنا ملائكةٌ آخرون يحفظون بني آدم من أمر الله بأمر الله كما قال تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١) ﴾ [سورة الرعد/ ١٠-١١]، وهم نعمة للمؤمنين الشاكرين ، وحجة على المنكرين الكافرين ، وقد جَرَّبتُ مراراً الإشراف على المهالك فعلمتُ سرَّ هذه الآية الكبير ؛ ففي صِغَري – وكنت لا أُجيد السباحة – كنت أتعلم السباحة في ماء ضَحْلٍ بالكويت على الساحل ؛ فزلفت رجلي في ماء عميق ؛ فكأن أحداً يتشلني إلى الماء الضحل .. وفي صغري كنت

أتسابق مع شاب بشقراء في قاع كان سابقاً مزرعة يسمى (خِيس صَعْب) وأمامنا هباءة اسمها (العُمَيَّا) ؛ فسبقته واشتددتُ في العدو ناسياً الهباءة ؛ فإذا بي أقف مفاجأة على غير ذكرٍ بالهباءة !! .. وما أكثر مثل هذه الظواهر .. وكم من مرة في سجودي أشفقت من عذاب النار طرفة عين، ومن عذاب القبر ، وألحفتُ في الدعاء مسترحماً ربي سبحانه بأنني عبده الضعيف لا أقوى على ذلك ، وطلبتُ من ربي أن يظلني في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، و تذكرتُ صفحاتي الخاسئة ، وسألت مَن وَسِع كل شيئ رحمة وعلماً سبحانه باسمه الأعظم ، وبأسمائه الحسنى ما علمتُ منها وما لم أعلم ، وبوجهه الكريم الذي أشرقت بنوره السموات والأرض ، وبأنه الله الواحد الأحد الصمد .. إلخ ، ورددت : يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام ، ويا حنان يا منان يا غفور يا ودود ، ويا قريب يا مجيب يا سمع الدعاء ، وبرحمتك أستغيث يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وجعلت بين ذلك : اللهم لك الحمد ولك الشكر ولك الثناء الحسن يا ربي لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، والحمد لله الذي أغناني بعد عيلة ، وأعزني بعد ذِلَّة

وكثَّرني بعد قلة ، وأسأله المزيد من فضله.. ثم كان دعائي : الحمد لله الذي هداني وأصلحني وأسأله المزيد من فضله برفع درجتي إلى درجات المحسنين العابدين القانتين الساجدين .. ثم أذكر صفحاتي الخاسئة فأدعو ربي على استحياء أن يمحوها ، وأقول : رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ، رب ارحم واغفر وأنت خير الغافرين ، وألحْف في الدعاء بأن يعصمني من كذا وكذا ، وأن يعينني على أداء فريضة ربي جماعة ، وأدعوه أن يرفع درجتي في الآخرة إلى الفردوس الأعلى ، وأسأله لذة النظر إلى وجهه الكريم ، وأن يعوِّضني عما سلف من عمري في لهو ، أو غفلة ، أو تضيع لواجب ، أو تقصير فيه ، أو انهماك في معصية : ببقية عمرٍ مديد عامر بالصحة والعافية والنشاط والعون على أداء وترك ما يرضي ربي دنيا وآخرة ، وأن يجعله عامراً بالعلم النافع تعلُّماً وعملاً وتعليماً ، وأن يمدَّ لي فيه بحياة سعيدة مديدة تكسب عملاً صالحاً إلى أن ألقى ربي وأنا مشتاق إلى لقائه ، غير مستوحش من ذنوبي ، وهو جلَّ جلاله راضٍ عني .. ثم أقول : الحمد لله الذي شفاني وعافاني وأسأله المزيد من فضله بشفاء عاجل لا يغادر داء ولا سقماً .. ثم أقول : الحمد لله الذي رزقني وأطعمني وسقاني

....

وكساني وكفاني وآواني ، فكم من لا كافي له ولا مؤوي .. ثم أسأله المزيد من فضله بقضاء ديوني ، وسعة رزقي برزق حلال طيب مبارك فيه ، وأن يختار لي بعلمه وحكمته وعنايته السكنى في المدينة المشرَّفة والتردُّدَ بين الحرمين الشريفين .. إلخ .. إلخ ؛ فما أقوم من صلاتي إلا وقلبي عامر بالبشرى والفأل ، وجوارحي عامرة بالنشاط .. وملائكة الرحمن عليهم السلام يتلقون المؤمنين بالبشرى يوم القيامة كما في قوله تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء / ١٠٣] ، ونحن نعلم أنهم أشداء غلاظ لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم الضعفاء المساكين الفقراء المملوكون المخلوقون الوجلون من ربهم سبحانه وتعالى ، ونتقرب إلى الله بالإيمان بهم وحبهم ، ونعلم أن نفعهم للمؤمنين إنما هو بأمر الله سبحانه ، ونعلم قول الله جل جلاله ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [سورة النجم / ٢٦] .. وبعكس المؤمنين الكُفَّار ؛ فإن الكفار تؤزُّهم الشياطين أزاً ، وتضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند الوفاة ، وتدُعُّهم إلى النار دعّاً ، وتعنِّفهم أشدَّ التعنيف وخازن الجنة رضوان ، وخازن النار

مالك لا يضحك أبداً عليهما السلام .. قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [سورة النحل / ٩٨-١٠٠] ، وقال تعالى عن الشيطان الرجيم لعنه الله: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [سورة النساء / ١١٧-١٢١] ، وتغيير خلق الله وفطرته قائم على قدم وساق في أمم الكفر كتحويل الذكر إلى أنثى بالهرمونات وشبه ذلك ، وكذلك الجِينَات ، ولن تستمر أيُّ حضارة تحادُّ شرع الله ، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ

اتَّقَوْا مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النحل / ٢٨-٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [سورة النساء / ٩٧-٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الأنعام / ٩٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [سورة الأنفال / ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا

تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [سورة محمد / ٢٥-٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفرقان / ٢١-٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الزمر / ٧١-٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ

السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الملك / ٦-١١] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة الزخرف / ٧٤-٧٧] ، وردُّ اللهِ جل جلاله عليهم أعنف من ذلك .. قال تعالى عن الكفار :

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [سورة المؤمنون / ١٠٤-١١١] ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾

[سورة الرعد / ٢٢-٢٤] .

قال أبوعبدالرحمن : وأخذت على نفسي أن لا أجعل في حياتي لحظة صَمْتٍ ماشياً (ولو كنت ماشياً في البيت مسافة قصيرة ؛ لإحضار شيء) ، ومنتظراً ، وراكباً في سيارة أو طائرة ، أو متهيِّئاً للنوم: إما مستمعاً تلاوة ، وإما ذاكراً الله ومسبِّحاً .. وحافظت على ذكر الله والورد المطلق والمقيَّد ؛ فأثمر كل ذلك سعة صدر ، وبسطة رزق ، ونشاطاً ، ورأيت البون الشاسع بين هذه الحياة وحياة الغفلة واللهو ؛ فهي مفعمة بضيق الصدر والتأفُّف .. نتسلًّى باللهو والعبث والضحك والنُّكَتِ التي تُقسِّي القلوب ، وذقتُ لذة الإيمان وحلاوته بتدبُّرِ النصوص الشرعية والتميز بين معانيها ، وأضرب لك المثال لذلك بالتسبيح بقولك : (سبحان الملك القدوس ربِّ الملائكة والروح) وبقولك : (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رب الملائكة والروح) ؛ فالأولى تسبيح ربك بقلبك ولسانك ، والثانية اعتراف منك بأن الله منزَّه مقدَّس وإن كفر به كل الخلق ؛ فإن تأوَّلت القرآن وقلت بعدها : (سبحانه ربي لا إله إلا هو الغنيُّ الحميد) كان ذلك مُقوِّياً للإيمان ولا سيما في السجود ؛ فتجد بذلك لذة لا تَعْدِلها لذة .

قال أبوعبدالرحمن : وأنا صورة طبق الأصل من شيخي (عبدربه) الذي أكتب سيرته ؛ فسبحان الخالق !! .

والطيبات من الرزق واجب الأكل منها بمقدار ما يقوى على أمور دينه ودنياه ولو لقيمات يُقمن صلبه .. وليس الزهد قعوداً ، ولكنه كسب وعمل وإغداق على الأهل والولد والقريب والجار والضعيف والصديق ، ثم له أن يمسك عن بعض المشهّيات وهو قادر على ذلك مالك له ؛ من أجل الله دون أن يخُل بصحته .. وكان سفيان الثوري رحمه الله مع زهده وورعه كثير المزاح يأكل بنهم إذا جاع ثم يقوم ليله في العبادة ، وهو صاحب الكلمة المشهورة : (أشبع الزنجي وكُدَّه) [٢٠] ، والكد عربية فصيحة لا ذنب لها إلا أن العامة تستعملها وأن المثقفين يهجرونها ، وهي بمعنى شدة العمل ودوامه ، وهذا المعنى مأخوذ من الشدة والإلحاح في الطلب [٢١] .

---

(٢٠) انظر سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٣ و٢٧٧ .

(٢١) انظر تاج العروس ٩/ ٩٧ و ١٠٠ / ط. الكويت .

والفئة الثانية : صوفيون يدعيون تلقَّوا المنامات والحكايات وتأويل النصوص تأويلاً بتحريف معانيها من علماء الضلال ؛ فضلُّوا .

والفئة الثالثة : صوفيون ملحدون ، وهذه صوفية الحلول والاتحاد ، ونحكم بكفر هذا التصوف ولا نحكم بكفر متعاطيه حتى تقوم عليه الحجة ويرتفع العذر ؛ ومحيى الدين ابن عربي الذي جمع بين النقيضين (ظاهرية الفقه ، وكُفريات التصوف الباطني) اختلف الناس في شأنه ؛ لما في كلامه من كفر أصلع .. إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية من المتقدمين والدكتور محمود قاسم من المتأخرين رحمهما الله يجزمان بأنه مغلوب على أمره بِرَئيٍّ يتلاعب به[٢٢] ..

---

(٢٢) قال أبوعبدالرحمن : أما كتاب محمود قاسم فليس بين يديَّ الآن ، وأما كلام شيخ الإسلام فتختزنه ذاكرتي في الصِّغر ، ولكنني

....

عجزت عن معرفة مكانه من كتب شيخ الإسلام رحمه الله بعد دِقَّة التفتيش ؛ فألتمس ممن وجد النصين أن يُسْعِفَني بهما جزاه الله عني خيراً .. وشيخ الإسلام رحمه الله يسوق في كتبه كلاماً لابن عربي ويحكم بكفر الكلام ، ولا يُكَفِّر ابن عربي ، ومرة يحكم بأنه ملحد - والإلحاد كفر - .. قال في درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٧٧ : « وإلا صار آخر أمره ملحداً من الملاحدة من جنس ابن عربي » ، وانظر ٥/ ٣٥٥ و ١/ ١١ و ٢٩٠ ، وصرح بكفره في مجموعة الرسائل والمسائل ٤/ ٨٠-٨٣ ، ثم ذكر من طعنوا فيه ص٨٠-٨٦ وفي ص٩٦ كفَّر الاتحاديين وابن عربي منهم .. ومرة ثالثة تردَّد في أمره ؛ فقال في مجموعة الرسائل والمسائل م٢ ج٤ / ٨ : «المقالة الأولى مقالة ابن عربي صاحب فصوص الحكم ، وهي مع كونها كفراً فهو أقربهم إلى الإسلام ؛ لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيراً ، ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره ، بل هو كثير الاضطراب فيه ، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل أخرى ، والله أعلم بما مات عليه » .

قال أبوعبدالرحمن : شيخ الإسلام أتقى منا لله وأعلم ، ومن علمه

والعبرة بهذه الغلبة أول الأمر هل كانت اضطراراً أو اختياراً بتجاوزِ ما شرعه الله حتى وقع في غير حرز حصين مكين .. ومن الذين جمعوا بين النقيضين المذكورين الفقيه الظاهري (رُوَيـمٌ) إلا أن تـصوُّفه علـى منهج ذو النون وابـن أدهـم رحمهم الله .. وبعض من هؤلاء الصوفية جهلة كما أسلفت.. صَحِبتهم خلال إقامتي خارج بلدي ؛ فاهتدى كثير منهم بفضل الله على يدي؛ وإنما يُخاف عليهم الغلو.

نستفيد .. ولكن لا أرى أن هذه الموازنة محمودة ؛ فليس مع الكفر ما يُعتَدُّ به من الحسنات ، وفي هذه الموازنة تأنيس به ، وقد قلت مراراً : (الباطل يشوبه شيء من الحق يُروَّج له ، والحق خالص لا شائبة فيه من الباطل) ، والخيال ليس عذراً ، والحق أنه راضَ نفسه رياضة غير شرعية ؛ فاستحوذ عليه الشيطان ، وألقى عليه ما يُظَنُّ أنه خيال منه ، وانظر عن دعوى الخيال هذه درء تعارض العقل والنقل ١٠/١٠٨-١٠٩ .

قال أبو عبدالرحمن : فحمدتُ الله على سؤالي له ؛ إذ حصلت على هذه الفوائد ، وأشعرته بذلك ، وأشعرته باستغرابي كلامه عن (غيظ القلوب) ؛ فما مناسبته لزيارة استشفاء كهذه ؟ .. فأَنَّ آنَّةَ هي إلى نفحة الطرب أقرب منها إلى الحزن ، وقال : إنك تحاول أن تجعل شجوني في المغطس !! .

قلت : والله ما أرى في سحناتك حزناً ، بل إنك أكثرُ مزاحاً من الإمام سفيان الثوري الذي ذكرته رحمه الله .

قال : يا أخي خذ جبال الهملايا ، وضم إليها جبل طويق ، وجبلي أجإ وسلمى ، وجبل ذهلان ، وجبال السروات كلَّها : فإنني أحمل من الهموم أثقل منها .. وأما البسمة والمزح فمن أمرين : أحدهما غير محمود وذلك انهماك لي في منعطفات حياتي مع الظرفاء من كل مُتَبَخْبِخٍ غير كيِّس ولا فطن .. وثانيهما منحة من واهب النعم سبحانه ربَّت القلبَ على

الشجاعة إيماناً بـالله ، واتِّـكالاً عليـه ، وعـدم حـسرة عـلى مـا فات ، أو تخوُّفٍ مما هو آتٍ.. وهل أمـراض العـصر يـا أخـي إلا من ضعف اليقين ، وقلة المغذِّي لقوة القلوب .

قلت : إذن حـدثني عـن هـذه الـشجون الخانقـة وأنـا أراك متفتِّحاً ؟ .

قال : لا أحصيها لك ، وكلُّها استعنت بـالله عليـه وقـصمته بقوة اليقين ؛ فلم أعد أنوءُ بتلك المُنَغِّصات .. فألححت عليه أن يـذكر لي مـا تيـسَّر منهـا ولـو واحـدة .. قـال: إذن أعطيـك أبسطها وأتفهها وهو لَبَطَةُ أبو عُقيقة .

قلـت : أمـا أبـو عقيقـة فـلا أعرفـه ؛ وأمـا لَبَطَـةُ فـذلك ابـن الفرزدق العاق فما شأنك ببني تميم ؟ .

قال : هـم حصاة البلد وبيضتها ، وأثقل أمة على الـدجال ، وأهل الشرف في مضر بعد قريش ، ولكل ظاهرة شواذ ، ومـا جعل الله العصمة لفرد فكيف تكون لقبيلة؟! .

قلت : يا شيخنا سيكون حديثنا كحديثِ (ألفُ[٢٣] ليلة وليلة)؛ فكل ليلة يدرك شهرزاد الصباح ؛ فنترك الكلام المباح؛ فاختصر لي الطريق رحم الله والديك وأخبرني ماذا تعني ؟.

قال : ذلك ابني لَبَطَةُ أبو عُقَيقة الذي أشبعني عقوقاً .

قلت : أليس متعلِّماً ؟.

فقال : بخٍ بخٍ .. حدِّث عنه في العلم ولا حرج :

عليــــك أبـــا عُقَيْقَـــةَ فـــاختبره
فكـــل العلـــم عنـــد أبي عُقيقـــة

لولا أنه مع هذا العلم الغزير لا يدري : أَسَعدُ اللهِ أكثرُ أم جُذام ؟![٢٤] .

---

(٢٣) الضم على الحكاية .

(٢٤) سعد الله حضنةُ رسول الله ﷺ ، وهم بنو سعد بن بكر من هوازن ، وهم أقلُّ وأشرف.. قال أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي [- ٨٢١هـ] رحمه الله تعالى في نهاية الأرب ص٢٦٨ : « وقد افترق بنو سعد هؤلاء

قلت : لم أفقه شيئاً .

قال : العلم الصحيح هو ما تحت الرَّغْوة - وهي محبوبة لذيذة - من لبنٍ صريح ، وأما الغُثاء (وهو مكروه غير مُسْتطاب) فتَحْته سيل جارف .

قلت : زدني رحم الله والديك لم أفقه شيئاً . . قال : إنه ذو ثقافة خطَّافية ، وله ولع بالكتاب ، ولكنه لم يدرس دراسة منهجية مؤصَّلة ، وعلمه بأمور دينه كعلمي باللغة الروسية ،

في الإسلام ، ولم يبقَ لهم حَيٌّ [أي مكان قبيلة] فَيُطرَق » .. وجذام بن عدي من كهلان من قحطان ، وفيه أيضاً بنو سعد، وهم أكثر ، وانظر عن القبيلتين جمهرة النسب لابن الكلبي ص٣٩٣-٣٩٤ ، ونسب معد واليمن الكبير له ١/ ٢٠١-٢٠٥ ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٢٦٥ و٤٢٠-٤٢١ ، ونهاية الأرب للقلقشندي ص١٩١-١٩٢ و٢٦٨ ، وانظر عن جذام قلائد الجمان للقلقشندي ص٦٢-٦٩ ، وهذا الكتاب ينسبه ابن لعبون رحمه الله في تاريخه في عدد من المواضع إلى السيوطي كما في تاريخه ص٧، وقارن بالقلائد ص١٧ ؛ والسبب في ذلك أن بعض النسخ الخطية نسبها الناسخ إلى السيوطي خطأ .

والعلم النافع الذي يكون معه البر والصلة أن تكون البداية تأصيلاً في أمور الدين عقيدة وفقهاً وآداباً وأصولاً مع علم الآلة من اللغة ، ثم يتخصص بعد ذلك فيما يقدر عليه من حقل علمي أو أكثر ، ثم لابد مع ذلك من موهبة فكرية أو رياضتها إن كانت خاملة بالقراءات العقلية الفكرية والحذق لنظرية المعرفة ، ولا بد بعد ذلك للعالم والأمي من الاتصال بكلام الله يومياً تلاوة أو سماعاً بتدبُّرٍ وسؤالٍ لأهل الذكر ؛ لأن من يهجر كلام الله يكون متعمداً للفرار من مسؤولية الخطاب الشرعي ، وقد حكم فيه شرع الله بقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ [سورة طه/ ٩٩- ١٠١] ، وقال سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ

كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [سورة طه / ١٢٤ - ١٢٧] ؛ فهذا نسيها بتناسيها ؛ إذْ صَدَّ عنها وهجرها .. وقال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الفرقان / ٢٧ – ٣٠] .. ولا بد مع ذلك من العبادة ، ولبطة مُظلم الوجه ليس فيه نور إيمان ، ولا يعرف الله طرفة عين ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [سورة يونس/ ٢٧] ، ويتوب الله على من تاب.. ولقد رأيت بوادر عقوقه منذ بلوغه الحلم عابساً مقطباً كأن عبسته ذرق حمَّاء ، وهي

التي تمكو ، وتمادى عقوقه إلى أن وصلتُ هذه المرحلة من العمر ؛ فعلمت أن الله لا بد غالبه إن لم يرجع إلى ربه ، وجاش من خاطري هذا البيت :

ولن يشكر العرفانَ منه عُقَيقَةٌ
فكُلٌّ عَقوقٍ مُوثَقٌ بعقوقهِ

وفي هذا الموضع غير الخيِّر ما أجمل توالي العين والقاف على نسق (وليس قرب قبرِ حرب قبرُ) !!؛[٢٥] فسوف يلقى ربه ويحاسبه ، والعامة تقول عن البر والعقوق : (سَلَفٌ مردود) بمعنى أن العاق لأبيهِ سَيُبْلَى بولدٍ أعقَّ منه .. وبحمد الله لم أضعف أمام شيخوختي ؛ لأن عندي من الولد البررة كفاية ، ولأن شيخوختي قد قُدَّتْ من شَباة حسام إن ضربْتَ به مكروهةً فَصَلاً ، وأيُّ أثرٍ لِمُتَبَوِّلٍ إذا تناطح

---

(٢٥) منهجي إيراد علامات الترقيم إذا كانت متوالية .

البحران ، ولست أقول فحسب :

وابـن اللبـونِ إذا مـا لُـزَّ في قَـرَنٍ

لمْ يستطعْ صولةَ البُزْل القناعيسِ(٢٦)

---

(٢٦) البيت لجرير من قصيدته التي مطلعها :

حيِّ الهِدَمْلَةَ من ذات المواعيس

فالحِنْوُ أصبح غير مأنوسِ

قـال محمـد بـن حبيـب [-٢٤٥هـ] رحمـه الله تعـالى في شرحـه لـديوان جريـر ١/ ١٢٤ : « وقـال جريـر يهجـو التَّـيْمَ .. كـذا قـال السُّكري ، وقال مرة أخرى : (يُعَرِّض فيها بابن الرِّقـاع العـامِلي) .. وليـس فيها للتيم ذكر .. وقال ص ١٢٨ : « ابن اللبون لثلاث سنين [يعني من الإبل] ، والقناعيس الشِّداد ، والقرن الحبل » .

قال أبوعبدالرحمن : والبزل جمع بـازل ، وهـي التـي ظهـر وشـق نابها ، وتـسميها العامة فاطراً ؛ لأن النـاب شـق عـن نفـسه ، والفطـر الـشق .. وأسـقط المحقِّـق ذكرهـا في فهـرس القـوافي عـلى قافيـة الـسـين ٢/ ١١٢١ ، ولكنـــه خرَّجهـــا في ٢/ ١٠٥٧-١٠٥٨ ،

ولكنني أعدُّهُ ذباباً طار في لهوات ليث .. وإذا كانت مصائب قوم عند قوم فوائدَ فإن عزائي في أهل عصرٍ بلغ زمانهم منتهى السماجة منذ أربعين عاماً تقريباً ؛ فكان الولد غيظاً ، وأخشى أن يكون المطر قيظاً .. وكنا نذمُّ قبل ذلك زماننا الجميل (زمانَ أهل الفطرة) لنقصٍ في الكماليات ، واليوم نقول - بعد الدعاء بالسقْي والرعي - : بكيت منها فصرت اليوم أبكيها .

قال أبو عبدالرحمن : فتألمت من هيئته وهو يردد هذا الكلام بمرارة ؛ فبدر مني هذا التساؤل : إنك مثقلٌ بالهمّ فعلاً، وإن حديثك المتدفق بمرارة هزني جدّاً .. فازداد نهوضاً في قِعْدَته ، وعادت حيويته وهو يقول : النفس لوامة إذا حصل منها تفريط ، ومني تقصير اضطراري لا اختياري ،

ودمجها سهواً مع القصيدة رقم (٨) ، وهي موجودة في كل النسخ التي اطَّلعتُ عليها من طبعات ديوان جرير .

ولكن براءتي أنه لاينطبق عليَّ قول شاعرين .. القول الأول :

لا تلم الأبناء في فعلهـــمُ　　　لو سادَ آباؤهم ســـادوا

فهـذه لـم أُفـرِّط فيهـا ؛ لأنـنـي عـصـامي بالـصاد المهملـة لا عظـامي بالظـاء المعجمـة ، وكيـف يكـون لي تقـصير في هـذا الجانب وثنائي على ربي الذي ألازمه دائماً في هـذا النص : (الحمـد لله الـذي أغنـاني بعـد عَيْلَـة ، وأعـزني بعـد ذِلَّـة ، وكثَّرني بعد قِلَّة) .. قلت ذلك لأن معاني هذا الدعاء شرعية، والرسـول ﷺ يتـأوَّل القـرآن .. أي يحمـل معانيـه الـصحيحة على عبادته التي يتعبَّد بها لربه سبحانه .. وأمـا القـول الثـاني فهذا البيت لأبي العلاء المعري :

وينـــشأُ ناشـــئُ الفتيـــانِ منـــا

عـلى مـا كـان عـوَّده أبـوه[٢٧]

(٢٧) من قصيدته في لزوم ما لا يلزم ٢/ ٦٠١-٦٠٥ التي يُشَكِّك فيها في

فلمَّا كانت ظروف طالب العلم تلتهم وقته حتى يكاد ينسى نفسه ، ولما كانت الأمُّ مُعِينة على الشر غير مساعفة على الخير : حرصتُ على دراستهم المنهجية ؛ فكنتُ أُدخِلُهم في مدارس الحضانة قبل الابتدائي على حسابي، ثم بعد ذلك أتنقَّل بهم من مدارس حكومية إلى مدارس أهلية حسب تغيُّراتهم التي أوجبت عليَّ ذلك ، وكنت أستأجر مدرِّسين في البيت لتدريسهم ، وكنت وقتها أفقر من حجَّام ساباط(٢٨) ..

الأديان ، وبعده :

وما دان الفتى بحجىً ولكن
يُعَلِّمه التديُّنَ أقربوه

وهذا مثل قوله في اللزوميات ١/ ٣٢٤ :

في كلِّ أمرك تقليدٌ رضيتَ به
حتى مقالك ربي واحد أحد

(٢٨) مثل عامي مشهور ، وساباط بلدة في العراق .. قال ياقوت في معجم البلدان ٣/ ١٦٦-١٦٧ : « ساباط كسرى بالمدائن موضع

معروف ، وبالعجمية بلاس أباذ ، وبلاس اسم رجل ، وقد ذكر في الباء ، وقال أبو المنذر : إنما سمِّي ساباط الذي بالمدائن بساباط بن باطا كان ينزله فسمي به وهو أخو النخيرجان بن باطا الذي لقي العرب في جمع من أهل المدائن .. والساباط عند العرب سقيفة بين دارين من تحته طريق نافذ ، والجمع سوابيط وساباطات، وقيل فيه : أفرغ من حجام ساباط .. عن الأصمعي ، وكان فيه حجام يحجم الناس بنسيئة فإن لم يجئه أحد حجم أمَّه حتى قتلها ؛ فضربه العرب مثلاً ؛ وإيَّاه أراد الأعشى بقوله يذكر النعمان بن المنذر (وكان أبرويز الملك قد حبسه بساباط ثم ألقاه تحت أرجل الفِيلة) :

ولا الملك النعمان يوم لقيته
بإمَّته يعطي القُطوط ويأفِقُ
وتُجبى إليه السيلحون ودونها
صريفونُ في أنهارها والخَوَرْنَقُ
ويقسم أمر الناس أمراً وليلة
وهم ساكتون والمنية تنطقُ
ويأمر لليحموم كل عشية
بقتٌّ وتعليق فقد كاد يَسْنَقُ

يُعالى عليه الجلُّ كلَّ عشية

ويرفع نقلاً بالضحى ويعرِّق

فذاك وما أنجى من الموت ربَّه

بساباط حتى مات وهو مُحَزْرَقُ

وقال عبيدالله بن الحرّ :

دعاني بشرٌ دعوةً فأجبتُه

بساباط إذْ سيقتْ إليه حُتوفُ

فلم أُخْلِفِ الظنَّ الذي كان يرتجي

وبعضُ أخلاءِ الرِّجال خُلوفُ

فإن تكُ خيلي يوم ساباط أحْجَمَتْ

وأفزعها من ذي العدوِّ زُحوفُ

فما جَبُنَتْ خيلي ولكن بدت لها

ألوفٌ أتت من بعدهنَّ ألوفُ

وقال أبوسعد : وساباط بليدة معروفة بما وراء النهر قرب أشروسنة على عشرة فراسخ من خُجَنْدَ ، وعلى عشرين فرسخاً من سمرقند .. ينسب إليها طائفة من أهل العلم والرواية .. منهم أبوالحسن بكر بن أحمد الفقيه الساباطي الأشروسني حدث عن الفتح بن عبيد

السمرقندي ، وروى عنه أبوذر عثمان بن محمد بن مخلد التيمي البغدادي .. وقال أبوسعد : ظني أن منها أبا العباس أحمد بن عبدالله بن المفضل الحميري الساباطي حدث عن علي بن عاصم ويزيد بن هارون وغيرهما » .

وانظر الروض المعطار ص٢٩٧-٢٩٩ .. ويقال عن حجام ساباط : إنه لم يجد من يحجمه ، فحجم أمه !! .. ويرد بصيغة (مثل حجام ساباط ما لِقَى [أي وجد] من يحجم وحجم أمه) ، وذكره أبوسهيل عبدالكريم الجهيمان في الأمثال الشعبية ٧/ ٢٩٦ بصيغة (مثل حجام ساباط) فقط، وجعله مثلاً للصديق يريد أن ينفعك فيضرَّك ، أو للانشغال ببعض الهوايات .. والعامة الآن تضربه مثلاً في الفقر : إما لأن ذلك الحجام أخذ أُجرة من أمه ، وإما لأنه تَلَهَّى بحجامتها – وإن لم تكن مضطرة لذلك – ؛ ليحسَّ بلذة العمل وإن لم يكن ثمة كسب ، وإما على مبدإ المثل العامي الآخر : (السواليف – أي المحادثة – ولا البيع الرِّدِيْ) .. أي البخس ، وأما قديماً فيضرب مثلاً لغير ذلك .. قال الشيخ محمد بن ناصر العبودي في الأمثال العامية في نجد ١/ ٣٩٠-٣٩١ : «حجام ساباط إلى ما لِقَى أحدٍ يحجمه حجم أمَّه ..

وكان بيتي عامراً بالضيوف ، وأحرص على جذبه هو وإخوته منذ الصغر ليأنسوا بضيوفي وينعتق هو بالذات من انطوائيته ، وهكذا أحاول حملهم معي في سيارتي إذا كنتُ مدعوّاً فلا

ساباط بلدة في العراق، وإلى معناها إذا ، ولِقَى أي لاقى ووجد .. والمعنى كمثل حجام ساباط إذا لم يجد أحداً يحجمه حجم أمه .. يقولون في أصله : إن حجام ساباط هذا كان إذا لم يجد أحداً يحجمه أخذ يحجم أمه ؛ لِيُرِيَ الناس أنه يُتقن الحجامة ؛ حتى يُقْبِلُوا على الحجامة عنده .. يضربونه لمن يختص أقاربه بأذاه ، وأصله مثل قديم ذكره الثعالبي والميداني والزمخشري بلفظ : (أفرغ من حجام ساباط) ، وقالوا : إنه كان حجاماً ملازماً لساباط المدينة ؛ فإذا مر به جند قد ضُرب عليهم البعث حجمهم بدانقٍ واحد إلى وقت رجوعهم، وكان مع ذلك يمضي الأسبوع والأسبوعان فلا يدنو منه أحد ؛ فعندها يخرج أمه فيحجمها ؛ حتى يُرِي الناس أنه غير فارغ ؛ فما زال ذلك دأبه حتى أنزف دم أمه ؛ فماتت فجأة ؛ فسار مثلاً ، وسار به المثل في الشعر .. قال ابن بسام :

مطبخه قَفْرٌ وطبَّاخُهُ أفرَغ من حجَّام ساباط » .

أُفلِح في ذلك ، وإن أفلحت في بعض ذلك فإنه بعد عناءٍ شديد .. وطالب العلم شحيحٌ بوقته ، ومع هذا أسرق من وقتي من أجل نزهتهم في البَرِّ مع والدي رحمه الله ، أو آخذهم معي لشراء ذبيحة والذهاب بها إلى الجزَّار ، ثم أذهب بهم لسوق الفاكهة والخضار ، أو أدور بهم في حارات بها أحواش للإبل ليتفرجوا ، أو أدخل بهم السوق لشراء ما يُفرحهم.

قال أبو عبدالرحمن : فقبَّلتُ جبينه ، وقلت : هذا جميل جليل جداً ، فكيف كانت النتيجة عكسية ، وما شأن إخوانه ذكوراً وإناثاً والحالة هذه؟ .

قال : أجيبك على شرط أن تسمح لي بمنعطف لن يطول إن شاء الله .

قال أبو عبد الرحمن : قلت : وأنا أفعل أيضاً إن شاء الله ، ولكنني أرجو من شيخنا الفاضل أن يختصر الحديث في ليلة؛ فلا طاقة لي بألف ليلة وليلة .. فتنهد هذه المرة تنهداً

يجيش حسرة ، وقال : إن المرأة أكثر سعادة للرجل أو شقاءً عليه ، وأول ما تزوجت امرأة فاضلة من أسرة كريمة ، وقد نشبت شحناء بينها وبين أبي رحمه الله ، وكانت هي المعتدية بشهادتي ؛ فاستعملتُ كل حيلة للإصلاح مع رجاء الوالد أن يصبر ، و شفاعات من المشايخ عند أهلِها كلما ادَّعتْ خلافاً مع أبي وجارت عليه في القول ، وكنت أحبها حباً شديداً ؛ فلما رأيت الهضم على أبي على الرغم من صبره ، وعلى الرغم من حثه لي على إمساكها ، وأن صبره لن يضيع ، وستعدل الأمور : أبتُ كل مشاعري ، وطلَّقتها رجاءً لما عند الله ، وكان لي منها بنتان ؛ وكنت إذا أخذتهما للزيارة آخر الأسبوع شممتهما، وتذكرت قول نزار قباني :

أخـــذتها مقـــبِّلاً باكيـــاً

أمـا بهـا مـن أمهـا رائحـة[٢٩]

---

(٢٩) شاعر متدفِّق الشاعرية ، ثريُّ الموهبة ، وسَّع دلالة القاموس

بإشعاعات على الألفاظ تكسوها معاني جديدة .. ولكنه شاعر السرير والنهدين ، وقد أذلَّ المرأة وامتهنها ، وبنى قصراً من الحلمات ، وكان يستسهل تفعيلة الخبب في كثير من شعره ، ولم يسلم زعيم عربي من هجائه إلا حافظ الأسد ؛ إذْ رفع عليه سماعة الهاتف بمهجَره ، وحذَّره مصير سليم اللوزي ؛ فصمتَ !! .. هكذا حدثني بعض الشاعرات في بعض أسفاري.. وقد سهل عليه دينه فجدَّف كثيراً ، وصرف عمره وموهبته للشعر ومقالات قصيرة جُمِعتا في المجلدين ٧-٨ ضمن أعماله الكاملة الشعرية والنثرية ، والبيت آخر قصيدته (طفلتها) في ديوان (طفولة نهد) ضمن الأعمال الشعرية الكاملة ١/ ١٥٢-١٥٣ ، والقصيدة جميلة، وهذا نصها :

طـــــالعني دربي بهـــــا مـــــرة

تـــرفُّ كالفراشـــــة الجامحـــــة

طفولـــــة كـــــما تبـــوح الربـــى

ومبـــــسمٌ كأنـــــه الفاتحـــــة

وكنـــتُ شـــيَّعتُ زمـــان الهـــوى

وانطفـــــأت زوابـــــعٌ نابحـــــة

ولم يَقرَّ لي قرار حتى علمتُ أن الله يسَّر أمرها بالزواج ، ثم سعدتُ لما أنجبت وكان الزوج صالحاً ؛ فارتاح ضميري ،

يــــا طيبهـــا أعـــزُّ انمـــوذج
مـــن بعـــد تلــك الغربـــة الفادحـــة
وكيـــف هـــذا كـــان قـــد أُورثـــت
حتـــى رنـــين اللثغـــة الـــصادحة
حتـــى انثيـــال الـــشعر حتـــى
[م] الفمَ الملموم حتى النظرة السارحة
يـــا وجههـــا الـــصغير غـــبَّ النـــوى
نفَـــضَتني جارحـــةً جارحـــة
هـــل أقبلـــتْ طفلتُهـــا بعـــدها
تفجعنـــي بأُمِّهـــا النازحـــة
عـــشرة أعـــوام عـــلى حبِّهـــا
كأنـــه في الليلـــة البارحـــة
ولم تـــزل صـــورتُها في دمـــي
غريقـــة أنيقـــة ســـابحة
أخـــذتُها مقـــبِّلاً باكيـــاً
أمـــا بهـــا مـــن أمِّهـــا رائحـــة

ولم تنقطع الصلة والبر بيني وبينها ، وبين أهلها وزوجها ، ثم بعد ذلك شقيت شقاءً منغِّصاً طيلة ثلاثين عاماً منذ زواجي الثاني ؛ حتى وصلت الحال أنني آخذ سجادتي ومصحفي وبعض كتبي إلى المسجد ؛ فإذا قضيتُ الفرض ذهبت إلى بيت أبي رحمه الله أو أحد أقاربي لتناول وجبة عشاء أو غداء مشفقاً على نفسي من سماع ما لا يرضيني ، أو إهدار ذمتي بالوقاحة ومدِّ اليد .. ثم تزوجت ثالثة في آخر حياة أبي رحمه الله خُفْية عنه من امرأة صالحة تفوقني حسباً ونسباً ؛ فهي من بني الضَّبُعِ من جهينة ، وسجلات أنسابهم في سوهاج بصعيد مصر عند مشايخ جهينة مثل نقابة الأشراف ، وأنجبتْ مني اثني عشر ولداً ما بين ذكر وأنثى إضافة إلى ثلاثة من السقط ، ووُلد لي ثلاثة أبناء خارج المملكة ؛ فلما علم أبي وأنا ذاهب به في الطائرة للعلاج سُرَّ وانبسط ، ووعدني بمشيئة الله أن يُوِّفق بين الزوجتين ، وأن تهتدي الثانية بهداية الثالثة ، وقد توفي رحمه ولم يتم شيء من

التوفيق ، بل عشت في عذابها أكثر ؛ فاضطررت إلى فراقها ، واشتريت لها ولذريتها فلتين بسور واحد ، وقمت بنفقتهم اليومية والأسبوعية والموسمية ومساعدات المناسبات إلى حد التبذير.. وعودة إلى الزوجة الثالثة فإنني قد تعلمت منها موضع الإحسان والإساءة ، وأعانتني على نفسي بعد الله في أمور كثيرة دنيا وآخرة ، وكانت سناً يضحك دائماً : لا تضيق بأحد ، وتكرم الوافد ، وترحم الفقير .. بل كانت تقوم بشؤون أولاد زوجها من زوجته الثانية ، وصبرتْ على ما نالها من الأذى .. تريد احتساباً أولاً ، وتشفق على إخوان أولادها ثانياً ، وتسعى لراحتي ودفع همي ثالثاً ، ثم هذا هو معتاد نشأتها في قريتها رابعاً ؛ فقابلوا إحسانها بالبغضاء والافتراء والإيذاء ، ولا سيما لبطة وشقيقتاه اللتان يأتي الحديث عنهما ؛ فأين هم من بِرِّ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الذي نزل عن بغلته من أجل أعرابي صديق لأبيه ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « أبرُّ البر أن يصل الرجل وُدَّ أبيه » ، وعن عبدالله بن دينار

قال : إن رجلاً من الأعراب لقي عبدالله بن عمر رضي الله عنهما بطريق مكة ، فسلم عليه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه .. قال ابن دينار : فقلنا له : أصلحك الله[٣٠] إنهم الأعراب ، وهم يرضون باليسير .. فقال عبدالله بن عمر : إن أبا هذا كان وُدَّاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أبرَّ البر صلة الرجل أهل ودِّ أبيه** »[٣١] .. وأما الزوجة الثانية أم لبطة وكان لي منها اثنا عشر ولداً أيضاً ما

---

(٣٠) ههنا لا توضع النقطتان الرأسيتان ؛ لأن (أصلحك الله) ليست بعد نداء ؛ فلا تنبيه بالنداء هنا كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

(٣١) رياض الصالحين ص٢٧٥ ، ولقد استوفى الحسين بن الحسن المروزي [-٢٤٦هـ] رحمه الله تعالى كثيراً من أحاديث البر والصلة في كتابه (البر والصلة) ، وأورد بإسناده هذا الحديث ص٤٤ برقم ٨٥ ، وأورد بإسناد جيِّد يحتاج إلى نظر ص٥٠ برقم ٩٦ برَّعبدالله بن طاووس بصديق أبيه .

بين ذكر وأنثى فستأتي قصتها إن شاء الله .

قال أبو عبد الرحمن : فقاطعته ، وقلت : الظاهر أننا لن نخرج من ألف ليلة وليلة؟!.

قال : اصبر وما صبرك إلا بالله .. أما الزوجة الثانية فقد لقيت منها أكثر مما لقي سقراط من زوجته[٣٢] ؛ حتى كنت أفكر في العزوبة والتبتُّل غير المشروع ، وقد أرغمني عليها والدي رحمه الله عن غير علم بالواقع ؛ وإنما خُدِع بأن أختها

---

(٣٢) كان سقراط دميماً ، وكانت زوجته (كزانتيبي) سليطة شرسة ذات نَزق ؛ ولهذا قال سقراط : « تزوَّج يا بني ؛ فإن وُفِّقتَ في زواجك عشت سعيداً ، وإن لم تُوفَّق أصبحت فيلسوفاً » .. انظر سقراط ضمن (في سبيل موسوعة فلسفية) ١٣/ ١١ ، وكل فيلسوف تبدأ صفحات الكتاب عنه برقم (١) .

قال أبوعبدالرحمن : وجد في الإمعان في الفلسفة سلوته عن بذاءة زوجته ، وإلا فهو فيلسوف قبل ذلك ؛ لأنه تزوَّجها وهو ابن خمسين سنة .

زوجة أخي ؛ فلم أستطع عصيان الوالد ، ثم صبرت عليها رحمة لها؛ لأنها كرب وبلاء خِلقة وخُلُقاً ، وواصلتُ النفقة التبذيرية مع شدة فقري ؛ حتى لا يحِسُّوا بالحرمان ، ولا تشره أنفسهم إلى ما في أيدي الناس ؛ فكنت أعثر في كل مدة يسيرة على مالا يسرني : مثل مطالبات لي من أصحاب المحلات بديونٍ باهظة من قِبَلهم على الرغم من نفقتي التبذيرية ، ومنها ما أتفاجأُ به في مكتبي من خطابات تعقيبية من المدارس على أولادي ، وكانت تَعْلم بغيابهم ، وتخفي عني بلاغات المدرسة ؛ فكنت في عناء من أجل التبديل من مدرسة إلى مدرسة ، ومن ترميم الوضع مع المدرسة نفسها.. ومنها ملاحقتي للأولاد بالنصيحة والترجي والتشجيع بالهدايا ، ومنها أنني أُفاجأُ بوقوع الأولاد في محرَّمات ووالدتهم تخفي علي ، ومنها تعبي مع أصحاب المحلات في تسديد قيم بضائع سرقها أولادي بتشجيع من

والدتهم ؛ لتأخذ المسروق وتكافئهم ، بل بلغ الأمر تكليفها أولادها بسرقة شقة لي مشحونة بأثاث جديد للبيت الذي أعمره تزيد قيمته على مئة ألف ريال ، وقد انكشف الأمر باعتراف الأولاد أنفسهم ، وتسرُّبِ قطع الأثاث في أسواق الجلب والبيع ، وتركت هذا الأمر احتساباً .. ومنها ابتعاد أهلي وأقربائي وخاصتي عن زيارتي بعوائلهم ، بل كانوا كثيري الإلحاح عليَّ في التخلص من هذه المرأة ؛ فلما أبيت هجرني بعضهم .. ومنها أن وجبات الفطور والغداء والعشاء تجمعنا على السماط ؛ فكل يوم أجد نقصاً في الأولاد ؛ فتعتذر لي بأن فلاناً مريض، وفلانة عند صديقتها ، وفلانٌ نائم ولاسيما لبطة ؛ فكنت أُخرجه من غرفته التي يقفلها على نفسه وفيها بعض الكتب يطالعها ، وقفله للغرفة في النوم واليقظة معاً ، فإذا عتبت عليه كشَّر بوجهه ولم يردَّ عليَّ .. ومنها أن أولادي غير الصغار جداً لا يدخلون عندي في

مكتبتي ولا سيما بنتيَّ من الزوجة الأولى ؛ فتبيَّن لي أنها تمنعهم ، وتقول بكل وقاحة : (عيب على الذي يُشْغل أبوه) ، وما قصدها إلا إخفاء الاضطهاد الذي تلقاه بنتاي ، بل كانت إحداهما تأكل التفاحة خفية تحت الدرجة خوفاً منها .. وأخيراً استسلمتُ للواقع ؛ فرضيت بذهابهما عند أهل أمهما وأنا كارهٌ ذلك ، ولكن سعادة ابنتيَّ أهم عليَّ من ذلك ، وقد حصل لإحداهما بسببها مرض لا تزال تعاني منه ويشتد حتى هذه اللحظة .. ومنها إن إحدى الأسر الكريمة تقدمت لخطبة بنتي الكبيرة منها ، ففرحتُ بذلك ؛ لعلمي بالمعدن الكريم للأسرة ، وألححتُ على أن يراها وتراه بمحضري ؛ فحصل ذلك برضا الطرفين ، ثم فوجئتُ بعد أسابيع بأن المهر أُعيد لأصحابه ؛ فلما سألتهم عن ذلك قالوا : (استخاروا وطلبوا فسخ الخطوبة وإعادة المهر) .. فقلت : (الله يجعل في الأمر خيراً) ، ثم تبين لي فيما بعد أنهم هم

الذين أعادوا المهر طلباً للزيادة من وسخ الدنيا ، وتعلقاً بشاب رمى بثقله عليهم فلم ترَ من زواجه منه خيراً ، وهو كذلك.. هذا تفصيل لا أستطيع الزيادة عليه ؛ فلا تسألني عن أكثر من ذلك .

قال أبو عبد الرحمن : فعصر الألم قلبي حيرة بين هذه المعاناة التي وقعت ، وبين عجز شيخنا الفاضل عن معالجة ذلك بحزم .. ولكن من خلال تفهُّمي لحديثه ، وملامح هيئته وهو يتحدث علمت أنه مثقل بذرية كثيرة ، ولا علاج للموضوع إلا بالطلاق وتفرُّق الأسرة ، وما كان يحق لي أن أثقل على نفسيته بالأسئلة ، ولكنني مازحته قليلاً ، وخرجت به عن هذه الأجواء حتى ردَّ الدم في وجهه ؛ فقلت : يا شيخنا : هذه سفاهة مراهق .. أما كنت تتحملها ، وتسعى في تزويجه لعله يستقر ؟ .. قال : لا أذكر في حياتي قط أنني ضربته وإن كنت أُعنِّف القول والتهديد ، وأما الزواج فهو

أبو عُقَيْقَة كما تعلم ؛ فهو ذو ولد ، ومنذ بلغ الحلم ولم يرضَ باختياري زوجته تركته يختار ، ثم أخذ بيدي كالخروف لأخطب له ؛ فخطبتُ ، وقمت بتكاليف الزواج ، وقد بلغت نصف مليون ، وكانت أسرة فاضلة ، ورزقه الله منها ابناً صالحاً ، ولكنها لم تقعد عنده سوى مدة قصيرة .. آذاها بغير سبب ، وتحكم في حريتها تحكماً أرعنَ ، وإذا انعكست الآية فلم يرضَ عن والده : منعها من زيارة والده مع أنهم لا يخرجون إلا بالإكرام والخيرات الكثيرة .. ثم التمَسَ زوجة ثانية ، وطلب أن يقودني كالخروف للخطبة ؛ فأخذت عليه عهد الله وميثاقه على التحري عن الأسرة ، وأن تكون زوجته في الدنيا والآخرة ما دام سيأخذها عن مشاهدة من الطرفين بعد طول مجالسة ، وألا يعتدي بالضرب والشتم ، وأن يُشركني في الأمر لحل إشكال إن وقع ، وأن يُبعد عن اعتياد التلفظ بالطلاق ؛ فلم تبق معه إلا يسيراً ثم طلقها بلا علمي

ولا مشورتي ، ولم يستطع ظلمها بأخذه بنتها ـ ؛ إذ أنجبت منه بنتاً ـ كما فعل مع الأولى التي اغتصب منها ابنها ، ومنعها من رؤيته ، وصار الولد تترامى به الأقدار بين حمقه وسوء تربية أهله .. ولكنه كان عصامياً ، صالحاً ، متفوِّقاً في دراسته .. وجاء المرة الثالثة ليأخذني كالخروف أخطب له امرأة ، وقلت له : (إنني لست ممن تَتَمَنْدل به يا عاق ، وإن عندي ذرية تبلغ ستة وعشرين من بين ذكر وأنثى ، ولهم حقٌّ مثلك) ، ورفضتُ أن أحضر الزواج نهائياً ؛ فتزوجها ، وعجبتُ من قبولهم مع تخلُّف والده عن حضور خطبة الزواج وحفلته .. ومع هذا أدركتني عاطفة الأبوة بعد مدة ، فدفعت شيئاً من بقايا تكاليف الزواج ، وتحمَّلت أعباء تسديد أكثر ديونه الحمقاء .. وهي تعيش عنده الآن في عذاب بينها وبين أهله ؛ فإذا أراد أن يتملق لي بحاجة بعث أهله تمهيداً لزياراته المتالية ؛ فإذا قضى حاجته لقَّاني سوءته ،

وكان أول عقوقه في مثل هذه الحالة أن يمنع أهله من زيارتي ، وأنا الرابح في ذلك ؛ لأنني أسلم من الخسائر الباهظة ومن وجع الرأس.

قال أبو عبد الرحمن : يا أبا لَبَطَة : لا ريب أن هذا عقوق يقتضي هَجْره ، وما أعرفه من فضلك سيمنعك من الدعاء عليه ، ولعلي أكون طرفاً في علاج هذا الموقف ؛ فزدني حديثاً عن عقوقه ؛ لأكون متفهماً للموقف ؟.. فقال : أما أن يوجد طرف من قريب أو صديق أو بعيد لعلاج الموقف فهذا لن يدخل في بقية عمري ألبتة إن شاء الله ؛ فلا أقبل أن تراه عيناي بقية عمري ، بل سأمنع من دخوله عليَّ لو كنت على فراش الموت ، وأما الدعاء فلو دعوتُ عليه من قلبي ولاسيما آخر الليل في السجود لقصمه الله سريعاً ، أو أوقعه الله في هموم ومصائب لا خلاص له منها ، ولن أدعو على أحد منهم ولا على والدته ؛ وإنما أدعو الله في سجودي ،

وفي كل وقت بصلاحهم ؛ فإذا عظَم غبني ؛ لشدة إيذاء جديد منهم قلت ثلاثاً « اللهم أصلح نيتي ، وذريتي ، وأهلي ، وجميع أمري .. اللهم مَن أرادني أو أهلي أو ولدي – من قريب أو بعيد ، أو من جن أو إنس ، أو من ذكر أو أنثى – بسوءٍ ؛ فأشغله في نفسه .. اللهم إني أعوذ بك من شرورهم ، وأجعلك في نحورهم .. اللهم اكفنيهم بما شئت وأنت السميع العليم .. اللهُ الله ربي لا أشرك به شيئاً [ثلاث مرات] .. اللهم أنت عضدنا ، وأنت نصيرنا .. بك نجول ، وبك نصول ، وبك نقاتل » ؛ وإنما سأدعو آخر الليل في سجودي على شقيقتين له أصغر من شقيقتيه الكبيرتين ، وتليانهما في السن ؛ فهاتان المجرمتان تعاملهما مع والدهما لا يفعله عتاة الكفار ، وقد سلب الله من قلبيهما ووجهيهما النور ، وأرجو الله أن يحيطهما بنقمته(٣٣) ، وأن يريني فيهما عجائب قدرته ، وأن

---

(٣٣) قال أبوعبدالرحمن : أراني عبد ربه وصيته الشخصية لأهله

تقرّ عيني بمصائبهما الدنيوية قبل الأخروية .. وكنت أنوي قتلهما بطلقتين ؛ فمنعني من ذلك عصمة ربي ، وكثرة فراري إليه سبحانه .. وأما عقوق لَبَطَة أبي عُقَيْقَة فلا أدري بماذا أبدأ ، ولا بماذا أنتهي ، وحسبك من نتن عقوقه ما يجيش به خاطري الآن ؛ فمن ذلك أنه يكتب لي الرسائل التي أحتفظ بها عندي ، وفيها الكلام القذر ، والشتائم لوالده .. ومنها أنني لا أذكر في حياتي قط أنه أطاعني في شيء ودعك من أن يستشيرني في أمر ، بل إنه سريع إلى عكس ما أريده له من خير ، وإلى تنفيذ ما يغيظني .. ومنها أنني أسافر مئات الأسفار ، وتأتيني وعكات فأكون طريح الفراش فلا يزورني ، بل يمر العام والعامان ما رأيته ، ولا أذكر في حياتي أنه خرج يستقبلني في أي سفر ؛ وإنما أستثني زيارات له متكررة

وولده ؛ فوجدتُ فيها البراءة منهما ، وعدم ظلمهما بتوليج شيء من إرثهما ، وأنه لا يقبل منهما بعد الموت صدقة ولا دعاء .

متابعة على غير المعتاد بعد تمهيد بشفعاء أو وسطاء ، وبإرسال أهله وذريته الذين منعهم من زيارتي .. يُكثِر تقبيل اليد ، والتحية والسؤال عن الحال ، ويشتري لي بعض الكتب ، وربما أهدى قلماً أو قارورة عطر ؛ فأحمد الله في أعماقي أنْ رده رداً جميلاً ، ثم تعلَّمتُ على طول المدى أن هذا الفعل لغير وجه الله ، وأن تودُّده كتودد الأعداء ؛ فهو يذكرك بقول الشاعر :

حياك من لم تكن تُرجى تحيته

لولا الحوائج ما حياك إنسان

فما تمر بضعة أيام حتى أجد وراء ذلك طلبات ترهقني : من سداد ديون باهظة حمقاء ، ومن طلبات تبذيرية من أجل النفقة ، ومن طلب شفاعة ، هذا مع ما جُبِلتُ عليه من سخاء ابتداءً وتبرعاً من غير طلب له ولأهله ولولده ، وكنت أدفع رسوم دراسة ولده في المدارس الأهلية ، فإذا قضى حاجته

أدبر كإدبار إبليس عند سماع الأذان فلا أراه إلا لمناسبات نفعية كالتي أسلفت ؛ حتى كرهت زيارته ؛ فلم تكن كحلاوة زورة بلا ميعاد ممن تودُّه ، وإني نسيت الآن الاهتمام به ؛ فلم يكن كعزَّة تتمثل لكُثيِّر بكل سبيل .. وبلغ من وقاحته ثلاثة أمور تنهدُّ لها الجبال هدّاً :

أولها : أنني أحضر يوم عيد الأضحى المبارك لأذبح عند والدته إحدى عشرة أضحية تبرُّعاً مني ، ويكون في البيت ، ويمر من عندي ؛ فيحتجب في غرفته ولا يسلِّم عليَّ مع أنه إلى هذه اللحظة ساكن في إحدى فللي هو وأهله ، ونفقاتهم تصلهم مني في البيت .

وثانيها : أنه شَجَرَ بيني وبين أحد المتشبِّثين باللغة رحمه الله تعالى خلاف ؛ فرددتُ عليه برفق وتأصيل ، وسترتُ بعض عيوبه الصلعاء كجعله (ما) المصدرية استفهامية ؛ فإذا بلبطة يكتب رداً على والده ، ويسلمه لإحدى المجلات ؛

فطردته المجلة ، وأرسلتْ إليَّ المقالة ؛ فأشفقت عليه من جهل أرعن ؛ فهو لا يحذق شيئاً من أصول اللغة وأسرارها ، ومن تكلم في غير فنه - إن كان له فنٌّ ! - أتى بالعجائب .. ولكن الأمر الذي اقشعر منه جلدي بذاءته مع والده ، ونبوُّ عباراته كأنه يردُّ على علماني بعيد لا على والدٍ مؤمن بارٍّ بوالديه وذوي القربى ، والأهل والولد .. وصارحته بعد مدة طويلة جداً في مناسبةٍ معاتبةٍ ، فأظلم وجهه زيادة على ما عنده من إظلام ، ولم يستطع الإنكار .. ولا أزال أحتفظ بهذه المقالة الخاسئة .

وثالثها : أنني كلفته بمهمة ثقافية لا علمية - مع علمي أنه غير أهل لذلك ؛ وإنما أردت تشجيعه علمياً ونفعه مادياً ؛ إذْ أغدقت عليه لهذا الغرض ما يُعدُّ رأس التبذير - ، فمرَّت شهور لا أراه مع كثرة مجيئي من الأسفار ، ومع أنني أكثر المرات طريح الفراش فلا أراه مبادرة من نفسه ، وأكتب له

الرسائل مستفهماً ، وأوصي من يتصل به فلا يرد عليَّ، ثم يرسل لي عُقيقة بفاتورة في حدود أربعين ألف ريال لتسديدها .. ومع حبي لعقيقة لصلاحه وذكائه فقد أعدتُ معه الفاتورة ، وأبلغته أن لا أرى أحداً منهم .. ومع أن لبطة طلَّاع عليَّ مع الخطوب غير مساعف في شدة أو رخاء استعظمتُ هذا العمل الإيجابي منه في العقوق ، وأما غير ذلك فهو مع خبثه سِلبيٌّ عاجز جبان .. خذلني في المساعدة في تربية أشقائه ؛ فبعضهم طريح في المصحات النفسية ؛ لتعاطيهم ما حرم الله، ومن لم يكن في المصحة فهو بأمس الحاجة إليها الآن .. بل بلغ من تفاهته وقلة إيمانه أن صرح بلسانه أنه غير مسؤول عن أحد حتى لو رأى الحمار على البقرة .. إنني يا أبا عبد الرحمن لم أذق حلاوة الإنفاق والعناء من أجلهم كما تلذذوا بحلاوة الإعطاء ، وإنما أعيش مرارة العقوق .

قال أبو عبد الرحمن : فاقشعر جلدي وارتعشت يدي ،

وقلت هذا عقوق يقرب من الكفر ، والدعاء عليه واجب ، ولا يحق لمسلم أن يسعى في الشفاعة له عند والده .. ثم رفعت طرفي مفاجئاً فإذا عينا أبي لبطة مغرورقتان بالدمع ، وما ظننت أن هذا الرجل المبتسم دائماً يكون عرضةً للبكاء لحظة واحدة من حياته .

قال أبو لبطة : لا تظنن يا أبا عبد الرحمن أن حَزَني على فائت منه وأشقائه ، ولكن لم يذق مرارة الحزن من لم يذق موت الولد البار :

لـيس عُـدْمُ المـالِ عُـدْماً ولكـنْ
فَقْـــدُ مَـــن رُزِئتَـــه الإعـــدام

فقد كان لي من الزوجة الثالثة ابن مات في ريعان شبابه ، وهو وبعض إخوته تعرضوا لإغواء إخوتهم غير الأشقاء ؛ فكثير منهم نجا ، واستدركتُ الباقين بفضل الله، ولكن ولد هاته الزوجة الصالحة من ذكر وأنثى (مهما مرَّ به من مراهقة)

يجمعهم البِرُّ بي مع عنفي في تأديبهم ؛ فإن تناولت أحدهم بالتأديب كلاماً أو ضرباً طأطأ رأسه ، ووعدني خيراً من ناحية الاستقامة ، وما أعلم أن أحداً منهم رد عليَّ بكلام محتمل مُغْتَفَر ، وكان أكبرهم إذا أخذني في سيارته لبعض الأشغال يوقف السيارة على عجل ، ثم يبادر لفتح الباب لأنزل ، وقد نشر الشمسية فوق رأسي إن كنا في وقت مطر أو شمس حامية ، وإنني لأخفي دمعتي عنه تأثُّراً بِبرِّه .. وأما أشقاء لبطة فمنهم بنتان صغيرتان وابن صغير لا أحمِّلهما المسؤولية وإن ظهرت منهما بوادر العقوق ؛ لصغرهما ، وتأثرهما بالتربة غير الصالحة .

قال أبو عبد الرحمن : فكنت في شبه ذهول مما سمعته ، وكنت محرجاً من طرح أحد الأسئلة عليه ، ولكن لم تخنِّي الشجاعة فقلت : يا أبا لبطة :(٣٤) إنني محرج من طرح

(٣٤) جرت عادة الكتاب أن يضعوا بعد المنادى فصلةً هكذا (،) ، وهذا

سؤال ، وأنت في أمواج من هذا الحزن ؟.

قال : اطرح ما تشاء فقد فوَّضت أمري إلى الله ، ومزقت همومي بكثرة الابتهال والاتكال وتغذية القلب بما يقوِّيه من الأدوية الشرعية .

قال أبو عبد الرحمن : سؤالي رحم الله والديك حول تحسين الأسماء ؛ فلماذا اخترت لبطة وأنت تعلم أن تحسين الأسماء مطلب شرعي ، ولاسيما أنك تعرف أن لبطة بن الفرزدق من العققة ، وكيف سمَّى لبطة ولده عقيقة وهو يعلم أن العقوق كما قال العامة : (سلف مردود) ؟.

قال أبو لبطة : يا أخي الكريم هذان الاسمان رمزيَّان لمَّا غرقتُ في عقوقه ؛ وإلا فقد عبَّدته لله ، وسميته على جدي

خطأ ، بل توضع نقطتان قبل النداء ؛ لأنه قول للتنبيه .. ونقطتان بعد النداء ؛ لأن القول المقصود يأتي بعده .

رحمه الله ، وكان معروفاً في مسقط رأسي بأنه أبو الأيتام على الرغم من قلة ذات يده ، وتوالى على بيته الضِّيق ست أسر من أقربائه قام بشأنهم ، وأدركت أحدهم من أثرياء الكويت كنت أنا ووالدي رحمهما الله على سفرته ؛ فتعمد أن يحضر على المائدة رأس خروف ، ويُقطِّع أُذنيه حوالي عشرين قطعة ، ويقول : هكذا كان خالي رحمه الله (يعني جدي) يوزع علينا الطريفة ، ولا يمر بفمه شيء .. ثم تقاطرت دموعه على السفرة ، والطريفة عند العامة ما تشتريه من الجزار ، ويسمونه أيضاً الشُّرْك ؛ لأن الناس شركاء في شرائه ؛ فإن كان رأساً وأكارع وكرشة ومصراناً وفطحة (وهي التي فوق الذنَبة) سموه رِفْدَاً .. وأما عُقيقة فاسمه الحقيقي أنه مسمى عليَّ ، وعلى الرغم من صلاحه وذكائه ونجابته فقد كان الأب يسومه سوء العذاب لغير سبب إلا لبغضه لوالدته حتى شحن قلبه حقداً .

قال أبو عبد الرحمن : إذن لن أقول يا أبا لبطة وإنما نتذكر قول العامة : (العقوق سلف مردود) .. ألا ترى أن في هذا تقاضياً ؟.

قال شيخنا : كلا ، بل أظن ذلك عقوبة دنيوية لما سلف لي من تقصير وإسراف في أمري ، والله إذا أحب عبده أصاب منه ؛ فيكاد يقوى يقيني بأن هذا تكفير ، وأنني ألقى الله إن شاء الله يوم النشور والحشر مُطهَّراً من المعايب بهذه المصايب ، وأما تعاملي مع والدي وأقربائي فإنني بحمد الله مضرِب المثل في البر بذوي القربى ــ ولا أزكي نفسي عند الله، ولا أجحد تقصيري وبعض أخطائي ــ ، وكان أبي رحمه الله سريع الغضب ، محكِمٌ القبضة على حريتي ، ومع هذا كنت أطْوعَ له من خاتمه وإن حصل بيننا بعد ما كبُرت شد وجذب بسبب اختلاف الرأي ، ولكن لا تمر سويعات أو أقل إلا وقد أرضيته وأضحكته ، وكنت منذ الصغر رفيقه في

الأسفار خارج الرياض ، وخارج المملكة .. على الحمار ، والناقة ، وسيارة حمَّالي ، والماك ، والأيف ، والقطار ، والطائرة ، وكان أكثر اليوم الذي توفي فيه يدعو لي .

ومرة كان والدي مدعوًّا للغداء من أحد أرحامه ، وقدَّموا قبل الغداء لبناً يمزجونه بكثير من الماء ؛ لكثرة الناس ؛ فانسللتُ إلى لبن لم يُخلط بالماء بعد ، وأفرغت منه كأساً ؛ فانسللت إلى الوالد ، وأخذت الكأس منه بالقوة ، وأعطيته الكأس الذي جئتُ به .. وكان يرقبني ؛ فاغرورقت عيناه من الدمع ؛ لهذا البِرِّ على صِغَر سني .

قال أبو عبد الرحمن : قلت : جزاك الله خيراً يا شيخنا ، ولكنني أراك متأثراً بكتيِّب (العققة والبررة) لأبي عبيدة معمر بن المثنى ؟.

قال : ما برهانك ؟ .

قلت : برهاني أشجانك أولاً ، وقولك : (عليك أبا عُقيقة فاختبره) ؛ فقد وجدته تصرُّفاً في البيت الأول من البيتين اللذين قالهما إسحاق بن إبراهيم الموصلي يمدح أبا عبيدة ويذم الأصمعي ، وذلك قوله :

عليك أبا عبيدة فاصطنعه
فإن العلم عند أبي عبيدة
وقدِّمه وآثره عليه
ودع عنك القريد ابن القريدة

قال شيخنا : كذب الموصلي الشعوبي الفارسي(٣٥) ؛

(٣٥) قال أبوعبدالرحمن : باستقرائي التاريخي رأيت الشعوبية ثلاثة أصناف :

الصنف الأول كفر وزندقة من غير عربٍ حَنُّوا لأديانهم ، وحسدوا العرب على ملكهم لديارهم .

والصنف الثاني رِدَّةُ فعلٍ من غير عرب انتصفوا لأنفسهم ، وما

وإنما مدح أبا عبيدة لشعوبيته العفِنة ، وهو لا يرقى إلى مرتبة الأصمعي سَعةَ روايةٍ وصدقاً ، وكتيِّب العققة والبررة من شعوبيته ؛ لأنه لم يذكر سوى ثلاثة نصوص قصيرة من البررة مع العلم المتواتر أن البِرَّ عند العرب هو الظاهرة الشائعة ، وأن العقوق حالات نادرة شاذة .. ولا آمن أن الموصلي أراد

عليهم من سبيل ؛ لأن العرب آذوهم بالعنصرية الرعناء .. على أن الأخيار من هؤلاء الموالي لم يرفعوا رأساً بالعنصرية العربية، وتعبدوا لله بحب العرب ماظلوا أهل جهاد وحملة علم شرعي أو عاملين به بسؤال أهل الذكر ، وبذلوا النصيحة لإخوانهم المسلمين من العرب ، وصرفوا وقتهم ومواهبهم لخدمة الشريعة وآلاتها ولا سيما اللغة والنحو ، وتمحيص أحاديث الرسول ﷺ من الدس بكذب أو وضع ، وبيَّنوا الوهم من الراوي ، وشرحوا أحوال الرواة .

والصنف الثالث شعوبية تجوُّزاً ؛ لأنها من عربي ضد قبائل من العرب بإملاء من مسؤول أو شحناء وذحول .

بالقريدة العرب ؛ لأنه لا شهرة لوالدة الأصمعي رحمهما الله، ولا ريب أنني تصرفتُ في البيت الأول ؛ لأن أبا عبيدة مطابق وزناً للكنية التي اخترعتها، وهي أبو عُقَيقَة ، ولست متأثراً بهذا الكتاب في أشجاني وإن كان يعجبني ما أورده من قول موسى بن جابر في ابنه العاق (الخُنَافِر) ؛ ففيه بيان أثر المرأة القبيحة في التربية العفنة :

فذلك من لا يستحي من خِزَايَة

وبعلُ الإماءِ وابنُهنَّ الخُنافرُ(٣٦)

وأما أن أشجان ذلك الكتيب غير أشجاني ؛ فلأن ذلك الكتيب يشتكي عقوق الأبناء بعدم المساعدة في الشدائد ، وبعدم النفقة ، وباعتداء أحدهم على أبيه بالضرب ؛ فأما

(٣٦) انظر العققة والبررة ضمن نوادر المخطوطات ٢/ ٣٩٣ ، ومثله ص ٣٨٩ عن خليبح بن مُنازل بن فَرغان ، وقد عقَّ مُنازلٌ أباه ؛ فعقه ابنه خليبح .

الأولى فليس لَبَطَةٌ أهلاً للشدائد ، وأما الثانية فلستُ بحاجته في نفقة ، فتقاعدي يكفيني ، ويكفي زوجتي ، وخادمة تخدمنا لو كنتُ مقطوع الصيحةِ ؛ فكيف وأنا بين أولاد بررة من الزوجة الثالثة ، وزوجة صالحة مع كثرة القريب والصديق المواسي .. وأما الثالثة فهو أعجز من العجز ، ولو تابعت معه بالأرواح على الرغم من شيخوختي لعمَّقت أنفه في الرَّغام .. ولقد أدركني يا أبا عبدالرحمن الكَلَال والإعياء فاتركني أرتاح ، واستودعك الله غير مشْنوء ، واذكر بخير شهرزاد لما أدركها الصباح وتركت الكلام المباح ، والله المستعان .

وكتبه لكم

أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

– عفا الله عنه –

تم الفراغ منه منتصف الليلة التي صبيحتها يوم السبت ١٩/ ٥/ ١٤٢٩هـ (٢٤ مايو ٢٠٠٨م) بالرياض ، ثم تمت المعاودة

بجدة ثم في الطائرة آخر الليلة التي صبيحتها يوم الأحد ٤/ ٦/ ١٤٢٩هـ (٨ يونيه ٢٠٠٨م)، ثم تمت المعاودة ضحى يوم الاثنين ٥/ ٦/ ١٤٢٩هـ(٩يونيه ٢٠٠٨) بالرياض، ثم تمت المعاودة بالطائرة من جدة إلى الرياض فجر يوم السبت ٧/ ٧/ ١٤٢٩هـ، ثم تمت المعاودة فجر يوم الأحد ١٠/ ٧/ ١٤٢٩هـ (١٣يوليه ٢٠٠٨م) بجدة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين.

* * *

أبو العلاء المعرِّي والغلام

] حُكي أن غلاماً لقي أبا العلاء المعري، فقال: من أنت يا شيخ؟..

قال: فلان.. قال: أنت القائل في شعرك:

وإني وإن كنت الأخير زمانه   لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

قال: نعم.. قال: يا عمَّاه: إن الأوائل قد رتَّبوا ثمانية وعشرين حرفاً للهجاء؛ فهل لك أن تزيد عليها حرفاً؟ فدَهش المعري من ذلك، وقال: إن هذا الغلام لا يعيش؛ لشدَّة حِذقه وتوقُّد فؤاده.

[أروع ما قيل من النوادر ص١٦ .

ثبت بأسماء المصادر (٣٧) مرتَّب على حروف المعجم :

١- أبيات الاستشهاد لأحمد بن فارس [-٣٩٥] رحمه

---

(٣٧) قال أبوعبدالرحمن : جرت عادة بعض المؤلفين على ذكر ثبت بالمصادر ، وثبت آخر بالمراجع ؛ بناء على فروق غير مُؤثِّرة ذكرها الكتبيُّون ، وناقشتها في غير هذا الموضع .. وموجز القول أن الثبت واحد ، وهو المرجع الذي صدرتَ عنه بإثبات شيء أو نَفْيِه؛ ولهذا سميته مصدراً .. على أن المصدر الذي نفيت منه شيئاً يكون لنفي جزئية من الجزئيات ، ويكون عدده لا يتجاوز أصابع اليد في الجزئية نفسها ، وأما إذا كثُرتْ فتذكرها سرداً في المقدمة مثل ترجمةِ علمٍ مغمور كأبي زيد الأعرابي صاحب النوادر في اللغة، والدامغاني صاحب كتاب الوجوه في القرآن ، وابن المجاور صاحب الرحلة رحمهم الله تعالى ؛ فتراجمهم شحيحة ؛ فتسردُ مظانَّ الترجمة لهم التي تصفَّحتها فلم تجد فيها ذكراً لهم ، وتثبت في ثبت المصادر ما وجدت فيه ترجمتهم .. والغرض من ذلك توفير الجهد على غيرك ؛ ليتقصَّى غير ما تقصَّيته .

الله تعالى ضمن المجلد الأول من نوادر المخطوطات (انظر العقفة والبررة) .

٢- الأربعون في الشفقة والرحمة لعطا الله عبدالغفار أبومطيع السندي / أضواء السلف بالرياض / الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ .

٣-أروع ما قيل من النوادر لإميل ناصيف/ دار الجيل ببيروت.

٤-الاستقامة لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية [٦٦١-٧٢٨هـ] رحمه الله تعالى بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم / الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ .

٥- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي ابن[٣٨] حجر العَسْقَلاني [٧٧٣-٨٥٢هـ]

---

(٣٨) قال أبوعبدالرحمن : إذا كان الأب غير مباشر ، بل قبله آباء وضعت (ابن) بالألف ، وهذا ما حققَّه الحريري في درة الغوَّاص

رحمه الله تعالى بتحقيق وتقديم عادل أحمد عبدالموجود[٣٩] وزملائه / دار الكتب العلمية ببيروت طبعتهم[٤٠] الأولى

ص٢٤٦ ، وعارضه الشهاب الخفاجي رحمهما الله في حاشيته على الدرة ص٧٠٠ مستشهداً بإنشاد سيبويه (أو مثل أسرة منظور بن سيار) .. وهذا ليس بشيء ؛ لأن الألف لا تُنطق إن كتبت أو لم تُكتب ؛ ولأن لإثباتها ههنا دلالة على عدم اتصال الآباء ؛ فإن جهل الكاتب اتصال الأب أو عدم اتصاله لم يثبتها ؛ ليترك الفرصة لاستدراك من يعلم عدم الاتصال إذا كان غير مُتَّصلٍ ؛ فيثبتها ، وينبه على ذلك . وليس من عادتي كتابة ألف (ابن) أوَّلَ السطر ؛ لأن تجارب الطبع يختلف ترتيبها من أول السطر إلى وسطه مثلاً ؛ فيحدث لذلك لبس ، والغرض تجاوز ما يحدث لبساً .

(٣٩) ليس الموجود من أسماء الله الحسنى سبحانه ، بل أسماؤه الحسنى وجود على صفات الكمال ، وهي التي يُدْعى الله بها ، ويضاف إليها عباده سبحانه .

(٤٠) إذا كان الكتاب مطبوعاً في غير ما ذكر في مصدرك من اسم مطبعة أو دار نشر فلابد من قول : (طبعتهم)؛ ليعلم أنه طُبع عند غيرهم .

عام ١٤١٥هـ .

* الأعمال الشعرية الكاملة لنزار قباني (راجع طفولة نهد).

٦- الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب للأستاذ أبي سهيل عبدالكريم الجهيمان / دار أشبال العرب بالرياض / الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ولا أدري أهي طبعتهم، أو هي الطبعة الثالثة باحتساب طبعات عند غيرهم - .

٧- الأمثال العامية في نجد للشيخ محمد ناصر العبودي / دار اليمامة بالرياض / الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ .

٨- إمداد الفتَّاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبدالفتاح (وهو ثبت شيخي عبدالفتاح أبوغدة [١٣٣٦-١٤١٧هـ] رحمه الله تعالى) بتخريج تلميذه محمد بن عبدالله آل رشيد [الشَّمَّري] / مكتبة الإمام الشافعي بالرياض / الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ .

٩- البر والصلة للحسين بن الحسن البغوي [-٢٤٦هـ] رحمه

الله تعالى بتحقيق الدكتور محمد سعيد محمد حسن بُخاري / دار الوطن للنشر بالرياض / الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.

١٠-بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بتحقيق الدكتور موسى بن سليمان الدويش / مكتبة العلوم والحكم / طبعتهم الأولى عام ١٤٠٨هـ.

١١-تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي [١١٤٥-١٢٠٥هـ] رحمه الله تعالى ط م حكومة الكويت / صدر خلال ثلاثة عقود من الزمن أواخر القرن الرابع عشر الهجري بتحقيق عدد من العلماء مُوزَّعَ الأجزاء بينهم.

١٢- تاريخ ابن لعبون لمحمد بن محمد بن ناصر بن عثمان (لعبون) [-١٢٦٠هـ] رحمه الله تعالى / مكتبة

المعارفة لمحمد سعيد حسن الكمال بالطائف / طبعتهم الثانية عام ١٤٠٨هـ ط م المدني .

١٣-تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر [٤٩٩-٥٧١هـ] رحمه الله تعالى بتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العَمْري [٤١] / دار الفكر ببيروت / طبعتهم الأولى الكاملة عام ١٤١٥هـ .

١٤-تفسير ابن عربي لمحيى الدين ابن عربي الصوفي الحلولي الاتحادي [٥٦٠-٦٣٨هـ] بإعداد سمير مصطفى رَبَاب / دار إحياء التراث العربي ببيروت / طبعتهم الأولى عام ١٤٢٢هـ .

١٥- تفسير روح البيان لإسماعيل حَقِّي البُروسوي [- ١١٣٧هـ] عفا الله عنه / تصوير دار الفكر ببيروت بدون

(٤١) قال أبوعبدالرحمن : رسمت هكذا : (العمروي) ؛ وهذا خطأ ، ويغني عن الواو سكون الميم بالتشكيل .

تاريخ ، وهو تصوير لطبعة بروسة .

١٦- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ للمبارك بن محمد ابن الأثير الجزري [٥٤٤-٦٠٦هـ] رحمه الله تعالى(٤٢) بتحقيق عبدالقادر الأرناؤوط / دار الفكر ببيروت / طبعتهم الأولى عام ١٤٢٠هـ .

١٧- جمهرة أنساب العرب للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم [٣٨٤-٤٥٦هـ] رحمه الله تعالى / دار الكتب العلمية ببيروت / طبعتهم الثانية عام ١٤٢٤هـ .

---

(٤٢) قال أبوعبدالرحمن : نسبة إلى الجزيرة التي قال عنها أبوالحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن الأثير [٥٥٥-٦٣٠هـ] رحمه الله تعالى - وهو أخو صاحب جامع الأصول - في اللباب ١/ ٢٧٧ : « وهي عدة بلاد منها الموصل وسنجار حرّان والرَّها والرَّقة ورأس العين وآمد وميَّا فارقين وديار بكر .. وهي بين دجلة والفرات ؛ وإنما قيل لها الجزيرة لهذا ، وقد جُمع لها تاريخ » .

وهذه الدار تسرق الكتب المحققة ، وتدَّعي التحقيق من قبل لجنة ، وربما سلخت بعض تعليقات محقق الكتاب الذي نشره عن نسخ خطية .

١٨- جمهرة النسب لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي [-٢٠٤هـ] عفا الله عنه برواية السُّكَّري[٤٣] : عن ابن حبيب رحمهما الله ، وتحقيق الدكتور ناجي حسن / نشر عالم الكتب ومكتبة النهضة / طبع ببيروت عام ١٤٠٧هـ طبعتهم الأولى .

١٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني [-٤٣٠هـ] رحمه الله تعالى/

---

(٤٣) قال أبوعبدالرحمن : أهملت كتب الأنساب وضبط الأعلام ضبط نسبة هذ العلم الإمام قلمياً ، والراجح أنه نسبة إلى بيع السُّكَّر أو صناعته .

دار الكتب العلمية ببيروت بدون تاريخ .

٢٠- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم / جامعة الإمام محمد بن سعود / طبعتهم الأولى الكاملة عام ١٣٩٩هـ.

٢١- دُرَّة الغوَّاص في أوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري [٤٤٦-٥١٦هـ] رحمه الله تعالى بتحقيق عِرْفان مِطْرجي / مؤسسة الكتب الثقافية / طبعتهم الأولى عام ١٤١٨هـ .

٢٢- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب [-٢٤٥هـ] رحمه الله تعالى بتحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه(٤٤) /

---

(٤٤) قال أبوعبدالرحمن: طه ويس ليسا من أسماء رسول الله ﷺ، وإنما هما من الحروف المقطَّعة أوائل السور ، والناس يُسمُّون بهما ظناً منهم أنهما من أسمائه ﷺ .

دار المعارف بمصر طبعتهم الثالثة . وط دار صادر ببيروت عام ١٩٩١م ، ولم يُذْكر اسم الشارح . وط دار الكتب العلمية ببيروت / طبعتهم الثانية عام ١٤١٢هـ بشرح مهدي محمد ناصر الدين . وط دار المعرفة ببيروت / طبعتهم الأولى عام ١٤٢٤هـ بتحقيق حمدو طمَّاس .

٢٣- رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى من سأله عن حقيقة مذهب الاتحاديِّيْن القائلين بوحدة الوجود / ضمن المجلد الثاني الجزء الرابع من مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية رحمه الله تعالى / دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤١٢هـ ، وهو سطو على تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى .

* روح البيان (انظر تفسير روح البيان) .

٢٤- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم لأبي الثناء وأبي الفضل شهاب الدين محمود أفندي بن عبدالله بن

محمود الآلوسي[٤٥] الحسيني [١٢١٧-١٢٦٣هـ] رحمه الله تعالى بتحقيق علي عبدالباري عطية / دار الكتب العلمية بيروت / طبعتهم الأولى عام ١٤١٥هـ .

٢٥-الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبدالمنعم الحميري [-٧٢٧هـ] بتحقيق الأستاذ الدكتور إحسان عباس رحمهما الله تعالى / مكتبة لبنان / طبعتهم الثانية ١٩٨٤م .

٢٦- رياض الصالحين للإمام الفقيه الورع الذي نفع الله بمؤلفاته على الرغم من أنه لقي ربه وهو بُعَيْد الأشدّ محيي

---

(٤٥) قال أبوعبدالرحمن : بعضهم يقول : (الألوسي) بغير مدّ للألف المهموزة ، وذلك جائز كما سيأتي ، والنسبة إلى آلوسة بضم اللام، وسكون الواو ، وسين مهملة بلد على الفرات قُرْب عانة ، ويقال : أُلُوس بغير مَدّ ، والمدُّ أصح ؛ لأنها معرَّبة على وزن فاعولة .. انظر معجم البلدان ١/ ٥٦ و٢٤٦-٢٤٧ .

الـدين أبي زكريـا يحيـى بـن شرف النـووي (٤٦) الدمـشقي الشافعي [٦٣١-٦٧٦هـ] رحمه الله تعالى ورضي عنه / دار ابن حزم ببيروت / طبعتهم الأولى ١٤٢٢هـ .

٢٧- سقراط للدكتور مصطفى غالب نشر دار مكتبة الهلال / الطبعة الثانية عام ١٩٩١م ضمن في سبيل موسوعة فلسفية رقم ١٤ .

٢٨- سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن

---

(٤٦) قال أبوعبدالرحمن : نسبة إلى نوى من قرى الشام ، ويقال أيضاً: النوائي والنواوي .. ولا أعرف وجه ذلك إلا أن يكون رسمها (نوا) فيكون الأصل : نوايي ؛ فأبدلت الياء واواً أو همزة تسهيلاً .. قال ياقوت في معجم البلدان ٥/ ٣٠٦ : « بلفظ جمع نواة التمر وغيره.. بليدة من أعمال حوران ، وقيل : هي قصبتها .. وبينها وبين دمشق منزلان ، وهي منزل أيوب عليه السلام ، وبها قبر سام بن نوح [عليه السلام] فيما زعموا » ، وانظر لب اللباب للسيوطي ٢/ ٣٨٩ .

عثمان الذهبي [-٧٤٨هـ] رحمه الله تعالى / مؤسسة الرسالة / طبعتهم التاسعة عام ١٤١٣هـ بتحقيق عدد من العلماء، وإشراف شعيب الأرنؤوط .

٢٩- شرح درة الغواص للحريري للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي [٩٧٩-١٠٦٩هـ] رحمه الله تعالى بحاشية درة الغواص بتحقيق عبدالحفيظ فرغلي / دار الجيل ببيروت، ومكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة / طبعتهم الأولى عام ١٤١٧هـ .

٣٠- صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري [١٩٤-٢٥٦هـ] رحمه الله تعالى / متن فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى بعناية أبو قتيبة(٤٧) نظر محمد الفاريابي / دار طيبة طبعتهم الأولى

---

(٤٧) قال أبوعبدالرحمن: الرفع على الحكاية .

عام ١٤٢٧هـ .

٣١- طفولة نهد من دواوين نزار قباني ضمن المجلد الأول من الأعمال الشعرية الكاملة / الطبعة الثالثة عشرة عام ١٩٩٣م / منشورات نزار قباني ببيروت طبعة عام ١٩٤٨م.

٣٢- العققة والبررة لأبي عبيدة معمر بن المثنى [١١٠-٢١٠هـ] ضمن المجلد الثاني من نوادر المخطوطات بتحقيق عبدالسلام هارون رحمه الله تعالى / دار الجيل ببيروت / طبعتهم الأولى ١٤١١هـ .

* في سبيل موسوعة فلسفية (انظر : سقراط) .

٣٣- قلائد الجمان في التعريف بقبائل العربان لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي [-٨٢١هـ] بتحقيق إبراهيم الأبياري / دار الكتب الحديثة بالقاهرة ط م السعادة / طبعتهم الأولى عام ١٣٨٣هـ .

٣٤-اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن الأثير الجَزَري [٥٥٥-٦٣٠هـ] رحمه الله تعالى / دار صادر ببيروت / طبعتهم الثالثة عام ١٤١٤هـ، وهو مختصر لكتاب له كبير في ثمانية مجلدات لا يزال مفقوداً، وهو مؤلف الكامل في التاريخ .

٣٥-لب اللباب في تحرير الأنساب لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي [-٩١١هـ] رحمه الله تعالى بتحقيق محمد أحمد عبدالعزيز وأخيه أشرف / دار الكتب العلمية ببيروت / طبعتهم الأولى ١٤١١هـ .

٣٦- لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) لأبي العلاء المعري [٣٦٣-٤٤٩هـ] دار بيروت عام ١٤٠٣هـ، ولم يُذكر اسم المقدِّم والشارح .

* مجموعة الرسائل والمسائل للإمام ابن تيمية رحمه الله

تعالى (انظر رسالة شيخ الإسلام إلى من سأله عن حقيقة مذهب الاتحاديين) .

٣٧-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيِّم الجوزية [٦٩١-٧٥١هـ] رحمه الله تعالى بتحقيق لجنة من العلماء / دار الحديث بدون تاريخ ، وهو إعادة لطبعة السنة المحمدية عام ١٣٧٥هـ .

٣٨- مسند إبراهيم بن أدهم الزاهد رحمه الله تعالى للحافظ محمد بن إسحاق ابن مَنْدَه (إبراهيم) أصله فارسي مولى لبني عبدالقيس [٣٦٠-٣٦١هـ] رحمه الله تعالى بتحقيق مجدي السيد / مكتبة القرآن بالقاهرة بدون تاريخ.

٣٩- معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي [-٦٢٦هـ] رحمه الله تعالى / دار صادر ببيروت طبعتهم الثانية بدون تاريخ .

٤٠- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي [٥٧٨-٦٥٦هـ] رحمه الله تعالى بتحقيق محيي الدين ديب مستو وزملائه / دار ابن كثير بدمشق / طبعتهم الثانية عام ١٤٢٠هـ .

٤١- المناهل السَّلْسَلَة في الأحاديث المسلسلة لمحمد عبدالباقي الأيُّوبي / دار الكتب العلمية ببيروت طبعتهم الأولى عام ١٤٠٣هـ ، وهي سطوٌ على طبعة عام ١٣٥٧هـ.

٤٢- نسب معدٍّ واليمن الكبير لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي [-٢٠٤هـ] عفا الله عنه بتحقيق الدكتور ناجي حسن / مكتبة النهضة العربية ببيروت / طبعتهم الأولى عام ١٤٠٨هـ .

٤٣-نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (٤٨) [٧٥٦-٨٢١هـ] رحمه الله

---

(٤٨) نسبة إلى بُليدة قلقشندة من أعمال قِيلُوْيَة بالياء المثناة التحتية

تعالى / دار الكتب العلمية ببيروت بغير تاريخ للطبع ، وقد طُبع محقَّقاً قبل ذلك أكثر من مرة .

* نوادر المخطوطات (انظر أبيات الاستشهاد) .

* * *

[نظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر مداد ؛ فأنّبهُ على ذلك فقال :

لا تجزعنَّ من المداد فإنه عطرُ الرجال وحليةُ الكتَّابِ

فأجابه :

حمارٌ في الكتابة يدَّعيها كدعوى آلِ حربٍ في زيادِ

فدَعْ عنك الكتابة لستَ منها ولو لطَّخْتَ نفسك بالسوادِ

أروع ما قيل من النوادر ٤٦ .]

المفتوحة، وهي أيضاً قرية بمصر قرب النيل من نواحي مُطَيِّر أباذ.

فهرس تفصيلي :

* * *

[تفاخر بعضهم على أحد الشعراء ؛ فقال الشاعر :

دهـرٌ عـلا قـدرُ الوضـيع بـه   وترى الشَّرِيفَ يَحُطُّـه شَرَفُهْ

كـالبحر يَرْسُـبُ فيـه لؤلـؤه   سُـفْلاً وتعلُـو فوقَـهُ جِيَفُـهْ

أروع ما قيل من النوادر ص٤٩ .]

جَـــزَتْ رَحِـــمٌ بينـــي وبـــين مُنَـــازِلٍ
جـزاءً كـما يـستنجز الـدَّينَ طالبـه
ومــا كنــتُ أخــشى أن يكــون منــازل
عــدوِّي وأدنـى شـانئٍ أنــا راهبُــه
حملـتُ عـلى ظهـري وفـدَّيتُ صـاحبي
صـغيراً إلى أن أمْكَـنَ الطَّـرَّ شـاربُه
وأطعمتُـــه حتـــى إذا آضَ خـــشرباً[1]
طُـوالاً يـساوي غـارب الفحـل غاربـه
فلــما رآني أحــسب الــشخص أشخــصاً
بعيــداً وذو الــرأي البعيــدِ يقاربــه
تظلَّمنـــي مـــالي كـــذا ولـــوى يـــدي
لـــوى يـــده الله الـــذي لا يُغالبـــه

قالها فَرغان بن أصبحَ يهجو ابنه العاق (مُنازِلاً) عن كتاب العَقَقَة والبررة ضمن نوادر المخطوطات ٢/ ٣٨٧-٣٨٨ .

---

(١) آضَ خشرباً : صار طويلاً سميناً .